

مكتبة مخطوطات الفاطميين

- ٣ -

كتاب الحصنة في آداب اتباع الأئمة

للقاضي النعمان بن محمد المغربي

نشر وتحقيق

الدكتور محمد كامل حسين

بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

الاهدا

إلى صديق الأستاذ الكبير و . إيثانوف
تقديراً لأبحاثه المتعددة في الدراسات الأسمايلية
محمد طامل مدين

مِيسِرُ الدِّينِ الْخَمْرِي

تقدمة الناشر

مؤلف الكتاب : بنو النعمان

١ - لا أكاد أعرف في تاريخ الدولة الفاطمية أسرة خدمت العلم والدعوة الفاطمية وأثرت في الحياة العقلية في مصر وغير مصر من البلاد التي شملتها الدعوة مثل أسرة النعمان . ومؤسس هذه الأسرة هو أشهر فقهاء المذهب الفاطمي ومن أكثرهم تأليفا للكتب وتعد مؤلفاته من الكتب الأساسية التي نرجع على منوالها علماء المذهب . بل لا تزال بعض كتبه إلى اليوم من أقوم كتب الدعوة . هذا الرجل هو القاضي أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن حيون التميمي المغربي ، ويعرف في تاريخ الدعوة الفاطمية باسم القاضي النعمان خوفاً من أن يلتبس اسمه بأبي حنيفة النعمان صاحب المذهب السني المعروف . لا نعرف متى ولد القاضي النعمان وقد رجح الأستاذ جوثيل أنه ولد سنة ٢٥٩ هـ ^(١) ويرجع آصف فيظي أنه ولد في العشر الأخير من القرن الثالث ^(٢) ولا أدري كيف بنى الأستاذ آصف فيظي رأيه هذا فإننا نعلم أن القاضي النعمان اتصل بالإمام عبيد الله المهدي بالمغرب ونعلم أن المهدي أسس دولته سنة ٢٩٦ هـ فبناء على رأي الأستاذ فيظي يكون النعمان إذ ذاك في سن الطفولة . أما رأي الأستاذ جوثيل فهو لا يخلو من غرابة أيضاً لجميع المؤرخين اتفقوا على أن النعمان توفي بمصر في أواخر سنة ٣٦٣ هـ وأنه شارك في القضاء بمصر إلى أن توفي ، فيكون قد عمر أكثر من مائة عام ولعل من يعمر دهرأ كاملاً لا يصلح للقضاء في أواخر سني حياته ، ولذلك لا أستطيع أن أوافق الأستاذ جوثيل ومن تبعه من الباحثين .

لم يصلنا شيء عن نشأته الأولى ولا عن أسرته إلا ما رواه ابن خلكان أن والده أبا عبد الله محمداً عمر طويلاً . وكان يحكي أخباراً كثيرة وتوفي في رجب سنة ٣٥١ هـ

J. A. O. S 1907 Vol XXVII P 227. (١)

J. R. A. S. P.I. 1934. (٢)

وصلى عليه ولده النعمان وأنه دفن بأحد أبواب القيروان^(١) ، ولعل ما رواه ابن خلكان عن أبي النعمان كان سبب قول جوئيل إنه كان من رجال الأدب ، ومهما يكن من شيء . فحياة الأسرة غامضة أشد الغموض ولم يذكر المؤرخون شيئاً عنها ولم يحدثنا النعمان نفسه في كتبه التي وصلتنا عن أسرته ونشأته قبل قيام الدولة الفاطمية بالمغرب سنة ٢٩٦ هـ غير ما ذكره ابن خلكان أنه كان مالكي المذهب ثم اعتنق مذهب الفاطميين^(٢) ، ولكن مؤرخي الشيعة يذهبون إلى أن النعمان كان مالكي المذهب ثم تحول إلى مذهب الشيعة الاثني عشرية ثم تحول إلى مذهب الإسماعيلية الفاطمية^(٣) ، ويذهب أبو المحاسن ابن تغري بردي إلى أن النعمان كان حنفي المذهب قبل أن يعتنق المذهب الفاطمي^(٤) ، وإذا أمعنا النظر في هذه الخلافات وجدنا أن الأرجح هو ما رواه ابن خلكان ، فالمذهب المالكي هو المذهب الذي كان يسود شمال أفريقيا والأندلس ، وأن المذهب الحنفي كان قليل الانتشار بين المسلمين في أفريقيا ، وإن خاصة تلاميذ مالك كانوا مصريين وعن مصر انتقل هذا المذهب المالكي إلى شمال أفريقيا والأندلس . وساد هذه البلاد حتى قل أن نجد فيها مذهبا آخر من مذاهب أهل السنة ، وإن كان مذهب الشافعي أخذ يشمو ويقوى في مصر حتى صار يتنافس مذهب مالك في ولاية الإخشيد على مصر كان للمالكية خمس عشرة حلقة ومثلها للمذهب الشافعي وليس للمذهب الحنفي سوى ثلاث حلقات^(٥) فذهب أبي حنيفة كان قليل الأثر في بلاد المغرب ، فمن المرجح إذن أن النعمان كان على المذهب السائد في بلاد المغرب وهو المذهب المالكي ؛ ويذهب الأستاذ فيظني إلى أن النعمان كان إسماعيلي المذهب منذ نعومة أظفاره وأنه اتخذ التقية خوفاً على نفسه وعلى مذهبه ولكن لم يحدثنا مؤرخ واحد عن إسماعيلية القاضي النعمان قبل ظهور المهدي بالمغرب سنة ٢٩٦ هـ ، حقيقة وجد في المغرب دعاة لمذهب الإسماعيلية قبل تأسيس الدولة الفاطمية وأن هؤلاء الدعاة هم الذين مهدوا لقيام هذه الدولة ، ويذكر المؤرخون

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٩٦

(٢) شرحه

(٣) المستدرک ج ٣ ص ٣١٣

(٤) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٢

(٥) المغرب ج ٤ ص ٢٤

من هؤلاء البهجة الحلواني وأبا سفيان وأبا عبد الله الشيعي وأخاه العباس وغيرهم (١) .
ولكننا لا ندرى أين كان الحلواني وأبو سفيان يدعوان ، ولا نعرف القبائل التي
استجابت لها ، أما الشيعي فكان بين الكتائب والقاضي النعمان ليس منهم بل هو
تميم الأصل . ولعل الأستاذ فيظن اتخذ بعض كتب الإسماعيلية المتأخرين مصدرا
له في ذلك ، وهذه الكتب ليست دقيقة في الناحية التاريخية كما أن مؤلفيها زجوا
بأكثر علماء المسلمين ومجتهديهم في زمرة الإسماعيلية ، فإسماعيلية القاضي النعمان قبل
ظهور المهدي لا تزال في حاجة إلى التحقيق .

ظهر عبيد الله المهدي على مسرح السياسة وأسس الدولة الفاطمية سنة ٢٩٦ هـ
بعد أن هزم الأغالة واحتل ديارهم ، فدخل في دعوته عدد كبير من أبناء المغرب
ومنهم القاضي النعمان ، ويقول بعض المؤرخين أن المهدي استخدمه في بعض الأعمال
ويحتمل لي أن النعمان كان في ذلك الوقت قد عرف بالفقه فقربه المهدي إليه ليستفيد
من علمه في نشر دعوته وربما عينه المهدي قاضيا في بعض النواحي ، وفي عهد القائم
بأمر الله الفاطمي اشتدت صلة النعمان به وولاه القضاء أطرابلس الغرب ، ولما
بنى المنصور مدينته (المنصورية) كان النعمان أول من ولي قضاءها وقضاء سائر
مدن أفريقية ؛ ويقول النعمان في كتابه المجالس والمسائرات عن ذلك ولما أرحلني
المنصور بالله عن مدينة أطرابلس إلى الحضرة المرضية وافق وصولي إليها غداة يوم
الجمعة ، فخلع علي - عليه السلام - يوم وصولي وقلدي وأمرني بالسير من يوم
إلى المسجد الجامع بالقيروان وإقامة صلاة الجمعة فيه والخطبة إذ لم يكن يومئذ
بالمنصورية جامع ، وأمر بجماعة من بوابي القصر الأعظم بالمشي بين يدي بالسلاح
إلى أن صليت وانصرفت . ثم خرج توقيعه من غد إلى ديوان الرسائل بأن يكتبوا
لي عهدا بالقضاء بمدن المنصورية والقيروان والمهديّة وسائر مدن أفريقية وأعمالها (٢)
وهكذا أصبح النعمان قاضي قضاء الفاطميين إلى أن تولى المعز لدين الله
سنة ٣٤١ هـ الإمامة فاشتدت صلة النعمان به فكان يجالسه ويساره بعد أن كان
مستوحشا منه قبل ولايته العرش ، وذكر النعمان في كتابه المجالس والمسائرات ،

(١) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان نسخة خطية بمكتبي

(٢) المجالس والمسائرات ورقة ١٤٨ نسخة خطية بمكتبي

طهارة خطاب وصله من المعز لدين الله ردا على رقعة رفعها إليه النعمان جاء فيه :
صانك الله يا نعمان ، وقفت على كل الذي وصفته في رقعتك هذه واستدالت من
لفظك على شيء قد تبين لي منك فتورك على ما كنت عليه من الانبساط والاستراحة
إلينا فيما عساه يعرض لك ويقع إليك ، فرأيت منك انقباضا أو حشنى إذ لم يكن
له سبب ولا علة توجبه ، بل الأمل فيك خلاف ما يسمو إياك أملك من التشریف
والتنويه باسمك ورفع منزلتك ، إذ لم أكن أطلع إلا على خبر وأحوال يجب أن
يكون عليها كل ولى لنا مثلك ، وكان الأولى بك التزيد فى السعى المجهر ، وليكون
حالك حالا يغبطك بها الولى ويكيدك عليها العدو ، وفقك الله ومددك. والذي وصفته
من حالك مع من صلى الله عليه وألقنا به ، فحالك لم يخف علينا بل كنا أصلها
وفرعها ، وإن كان الشخص الجسماني المقدس غائبا عن أبصارنا ونقل إلى سعة رحمة
الله فإن المادة الروحانية متصلة غير منقطعة والحمد لله رب العالمين ، فولاك مضى ،
وإمامك خلف فاحمد الله واشكره وسلم لأمره واكتب إلى بما عساك تجد ذكره
ليأتك من أمرنا ما تعمل عليه إن شاء الله ،^(١) فهذا الخطاب يدل على أن النعمان
كان يتوقع أن يعزل عن القضاء بعد وفاة المنصور ، ولكن المعز آثره وقربه فأصبح
النعمان جليسه ومسايره ، ووضع النعمان كتابه المجالس والمسائرات جمع فيه كل
ما رآه وما سمعه من إمامه المعز .

ولما رحل المعز من المغرب إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ صحب معه بنى النعمان
— وكان النعمان يتولى قضاء الجيش — إلى مصر وكان الناس يتحدثون بأن النعمان يولى
قضاء مصر ، ولكن المعز لدين الله بعد أن استقر بمصر ترك القضاء لآبى طاهر محمد
ابن أحمد الذهلي الذى كان على قضاء مصر منذ سنة ٣٤٨ هـ وطلب إلى هذا القاضى
أن يحكم بفقہ الفاطميين ، فكان القاضى يسترشد فى أحكامه بالقاضى النعمان إلى أن
توفى النعمان سنة ٣٦٣ هـ بمصر . ويقول ابن حجر إن النعمان كان يسكن القسطنطينية
ويغزو منها إلى القاهرة فى كل يوم^(٢) ، ولا ندري سبب سكناه القسطنطينية مع ما كان
عليه من قرب من المعز ، فقد كان المعز يجب أن يقيم معه فى القاهرة كل المقرين
إليه من حاشيته وخاصته .

(١) المجالس والمسائرات ورقة ٥١ م

(٢) رفع الإصر ورقة ١٣٦ نسخة خطية بدار الكتب المصرية

ويروى ابن خلكان عن المسيحي أن النعمان كان من أهل العلم والفقه والدين .
والثبل مالا يزيد عليه (١) ويروى أيضا عن ابن زولاق أن النعمان بن محمد القاضي
كان في غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه ، وعالمًا بوجوه الفقه ، وعلم اختلاف
الفقهاء ، واللغة والشعر الفحل والمعرفة بأيام الناس مع عقل وإنصاف (٢) . وكل من
نحدث عن النعمان من المؤرخين يذكرون فضله وعلمه . وتدلنا مؤلفاته العديدة على
ما ذكره المؤرخون عنه ، فلا غرابة أن رأينا كتبه عمدة كل باحث في المذهب
الفاطمي وأنها الأصل الذي استقى منه علماء المذهب بعده . فلا أكاد أعرف عالما
من علماء الدعوة اختلف مع النعمان في مسائل الفقهية ، وربما كان ذلك لأن النعمان
قال في كتابه المجالس والمسائرات أكثر من مرة إن الإمام المعز لدين الله طلب
إليه أن يلقى على الناس شيئا من علم أهل البيت . فألف النعمان كتبه وكان يعرضها
على المعز فصلا فصلا وبأبوابها حتى أتىها . فهو يقول مثلاً : أمدني المعز لدين الله
بجمع شيء لحصه لي وجمعه وفتح لي معانيه وبسط لي جلته فابتدأت منه شيئا ثم رفعته
إليه ، واعتذرت من الإبطاء فيه لما أردته من إحكامه ورجوته من وقوع ما جمعته
منه بموافقة فطاعته في مقداره . فوقع إلى : يا نعمان لا تبال كيف كان القدر مع
اشباع في إيجاز ، فكلما أوجزت في القول واستقصيت المعنى فهو أوفق وأحسن ،
والذي خشيت من أن يستبطأ في تأليفه فوالله لولا توفيق الله عز وجل إياك
وعونه لك لما تعفده من النية ومحض الولاية لما كنت تستطيع أن تأتي على باب
منه في أيام كثيرة ولكن النية يصحبها التوفيق (٣) إلى أمثال ذلك من النصوص
الكثيرة التي تدل على أن المعز لدين الله كان يدفعه إلى تأليف الكتب بعد أن
يوضح له فكرتها ، وأن النعمان كان يعرض كتبه على المعز قبل أن ينشرها على الناس
كما طلب إليه المعز أن يقرأ مجالس الحكمة التأويلية ، ولعل هذا هو السبب الذي
من أجله لقبه المؤرخ ابن زولاق بالداعي (٤) . وليس لدينا من النصوص ما يثبت
أن النعمان كان من الدعاة ، فالداعي إدريس في كتابه «عميون الأخبار» قال إن النعمان

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٦

(٢) شرحه

(٣) المجالس والمسائرات ورقة ٢٥ ب

(٤) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٦

كان في مكانة رفيعة جدا قريبة من الأئمة ، وأنه كان دعامة من دعائم الدعوة ، ولكنه لم يصرح بأن النعمان كان داعيا أو حجة مع ما نعرفه عن الداعي إدريس من إغداق المديح على كل من اتصل بالدعوة . ومهما يكن من شيء ، فالنعمان كان داهية في سياسته التي قربته إلى الأئمة فقد استطاع بعلمه أن يجذب اليه قلوبهم فقربوه اليهم ، وعرف أسرارهم ونواياهم فوضع هذه الكتب العديدة وادعى أن الأئمة هم الذين لفتوه إليها . بل لعل لا أغالى إذا قلت إن النعمان هو أول من دون فقه المذهب الفاطمي . فلا أكاد أعرف فقيهاً من فقهاء المذهب قبله كتب في هذا الفن ، حقيقة لا أجد كبير اختلاف بين فقه الشيعة عامة وفقه الفاطميين إلا في زواج المنة التي حرمها الفاطميون ؛ وأن فقه الشيعة كان مدونا قبل النعمان ، ولكني لا أعرف أن الفقه الفاطمي الإسماعيلي قد دون قبل النعمان ، وبين يدي كتاب ، المرشد إلى أدب الإسماعيلية ، وهو ثبت لأسماء المؤلفين والكتب الإسماعيلية على اختلاف فنونها ، وبين يدي مجموعة خطية قديمة لمؤلف مجهول جمع أسماء الكتب التي ألقت منذ أوائل ظهور الدعوة الإسماعيلية ، فلم أعثر في هذين الثبتين على كتاب واحد في الفقه الإسماعيلي قبل كتب النعمان بن محمد ، فلا غرو أن يعرف المعز لدين الله فضل هذا العالم وأن يرفعه إلى أعلى الدرجات وأن يقول عنه : من يؤدي جزءاً من مائة مما أداه النعمان أضمن له الجنة بجوار ربه ،^(١) ويحدثنا المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي دعاة المستنصر في السيرة المؤيدية أن الوزير البازوري قال له : إن النعمان بنى هذا الأمر وأن أحق الناس بمكانه أبنائه ،^(٢)

أما عن الكتب التي وضعها النعمان لأهل الدعوة فيقول ابن خلكان : إن النعمان ألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع ، وعمل في المناقب والمثالب كتاباً حسناً ، وله ردود على المخالفين ، له رد على أبي حنيفة وعلى مالك والشافعي وعلي ابن سريج ، وكتاب اختلاف الفقهاء ينتصر فيه لأهل البيت وله القصيدة الفقهية لقها بالمختبة^(٣) . وذكر الأستاذ أبقانوف في كتاب المرشد إلى أدب الإسماعيلية ، كتب النعمان وقسمها إلى :

(١) كتاب عيون الأخبار ج ٦ ص ٤١

(٢) السيرة المؤيدية من مطبوعات دار الكاتب المصري

(٣) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٦

١ - كتب الفقه :

(١) كتاب الايضاح (٢) مختصر الايضاح (٣) كتاب الإخبار في الفقه
(٤) مختصر الآثار فيما روى عن الأئمة الأطهار وهو كتاب متداول الآن
بين طائفة البهرة (٥) الانقصار . وهو كتاب متداول معروف (٦) القصيدة
المنتخبة وربما كانت نظم كتاب الانقصار (٧) دعائم الاسلام في ذكر الحلال
والحرام والقضايا والاحكام (٨) كتاب مناجات الفرائض (٩) كتاب الاذواق
والاقتراح (١٠) المقتصر (١١) كتاب النبوع .

ب - كتب الاخبار :

(١) شرح الاخبار في فضائل الأئمة الأطهار في ستة عشر جزءا (٢) قصيدة
ذات المحنة وهي منظومة في ثورة أبي يزيد محمد بن كيداد الخارجي (٣) قصيدة
ذات المنن منظومة في بعض حوادث وقعت للمعز .

ج - كتب الحقائق :

(١) دعائم الاسلام (٢) تأويل الشريعة (٣) أساس التأويل
(٤) شرح الخطب التي لأمر المؤمنين على (٥) كتاب التوحيد والامامة
(٦) اثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق (٧) حدود المعرفة في تفسير
القرآن والتنبية على التأويل (٨) نهج السبيل إلى معرفة علم التأويل (٩) الراحة
والتسلي .

د - في الرد على المخالفين :

(١) إختلاف المذاهب (٢) الرسالة المصرية في الرد على الشافعي
(٣) الرد على ابن سريج البغدادي (٤) ذات البيان في الرد على ابن قتيبة
(٥) دافع الموجز في الرد على المعتز .

هـ - كتب في العقائد :

(١) قصيدة المختارة (٢) كتاب المهمة في آداب اتباع الأئمة (٣) كتاب الطهارة
(٤) الأرجوزة (٥) مفاتيح النعمة (٦) كتاب الدعاء (٧) كتاب
عبادة يوم وليلة (٨) كيفية الصلاة على النبي (٩) التعقيب والانتقاد

- (١٠) كتاب الحلى والثياب (١١) كتاب الشروط (١٢) منامات الأئمة
(١٣) تأويل الرؤيات (١٤) التقرير والتعنيف .

و — كتب في الوعظ والتاريخ :

- (١) رسالة إلى المرشد الداعي بمصر في تربية المؤمنين (٢) المجالس
والمسائرات والمواقف والتوقيعات (٣) معالم المهدي (٤) المناقب لأهل بيت
رسول الله (٥) افتتاح الدعوة .

هذه هي الكتب التي ذكر الاستاذ ابفانوف أنها من تصنيف القاضي النعمان
وبعضها ورد ذكره في المجموعة الخطية التي أشرت إليها سابقا ، وأكثر هذه الكتب
مفقود ، وبعضها في خزائن أصحاب الدعوة الذين يحرصون عليها ويسترونها أشد الستر .
ولعل أهم كتاب خالده للنعمان هو كتاب دعائم الاسلام ، وهو الكتاب الذي أمر الظاهر
الفاطمي بأن يحفظه الناس وجعل لمن يحفظه مالا جزيلا ، ويشتمل هذا الكتاب
على فقه الفاطميين كله ، فدعائم الاسلام عندهم الولاية والطهارة والصلاة والزكاة
والصوم والحج والجهاد ، ولكل فريضة من هذه الفرائض أصول وفروع وآداب ،
تحدث عنها القاضي النعمان بشيء من الإطناب ويروى ما ورد في كل فريضة من
آيات قرآنية وأحاديث نبوية وما جاء عن الأئمة الفاطميين ، ويظهر في هذا الكتاب
تأثر القاضي النعمان بمذهب مالك ، فقل أن تجد خلافا بين فقه مالك وما ورد في
كتاب دعائم الاسلام إلا ما ورد عن الولاية ، وتظهر قيمة هذا الكتاب عند
علماء المذهب أن داعيين من أكبر دعائهم ذكراه في كتبهما واعتمدا عليه ونوها به
أما الداعي الأول فهو أحمد حميد الدين بن عبدالله الكرمانى المتوفى سنة ٤١٢ هـ فقد
ذكر في السور الأول من كتاب راحة العقل أسماء الكتب التي يجب أن تقرأ قبل
قراءة راحة العقل وذكر بينهما كتاب دعائم الاسلام ؛ أما الداعي الثاني فهو المؤيد
في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٠ هـ فقد ذكر في السيرة المؤيدية
أنه كان يعقد مجلسا خاصا كل يوم خميس يقرأ فيه على السلطان أبي كاليبجار البويهى
فصلا من كتاب دعائم الاسلام . ويعتبر هذا الكتاب الآن من أقوم كتب
الاسماعيلية ومن كتبهم السرية مع أنه في علم الظاهر أى في العبادة العملية ومع

حرصهم على سرية فقد حصلنا على نسخة منه في جزأين . وقد علت من صديق الأستاذ فيظي أن هذا الكتاب سيطبع قريباً .

أما الكتاب الثاني الهام من كتب النعمان فهو كتاب « تأويل دعائم الاسلام » واسم الكتاب الكامل كما ورد في متن الكتاب « كتاب تربية المؤمنين بالتوفيق على حدود باطن علم الدين في تأويل دعائم الاسلام » وهو في ذكر التأويل الباطني للأحكام والفرائض التي وردت في كتاب دعائم الاسلام وهو من أهم كتب التأويل عند الاسماعيلية وعليه اعتمد الدعاء بعد النعمان^(١) . وقد توفي النعمان قبل أن يتم كتابه هذا وقد وصلتنا نسخة منه في جزأين .

وحدثنا القاضي النعمان عن بعض كتبه فقال عن كتاب وضعه باسم « كتاب الدينار » : سألت بعض القضاة والحكام والطلبة بسط كتاب مختصر من قول أهل البيت (ص) لهم ، يقرب معناه ويسهل حفظه ، وتخف مؤلفته ، فابتدأت شيئاً منه وقدرت أن الكتاب إذا كمل قام على من يريد استنساخه بدينار فادونه ، وسميته كتاب الدينار وذكرت ذلك في بسط افتتاحه ، ورفعت ما ابتدأته منه إلى المعز لدين الله وطالعت فيه وسألته قراءته عليه وسماعه منه ليكون مأثوراً عنه وكتبت مع ما رفعته منه إليه رقعة ذكرت فيها ذلك له . فوقع إلى بخطه في ظهرها : بسم الله الرحمن الرحيم . صانك الله يا نعمان ، وقفت على الكتاب وتصفحته ، فرأيت ما أعجبني فيه من صحة الرواية وجودة الاختصار ولكن فيه كلمات تعاص على كثير من أوليائنا معرفتها فشرحتها بما يقرب منه أفهامهم فيستوى في معرفته والإحاطة بعلم ألفاظه الشريف والمشروف ؛ فإنه يحى . طريفاً قريب المأخذ وسمي « كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الأعلام » فإن ذلك أشبه به من كتاب الدينار لأن فيه من علم أولياء الله ما يبحث على كافة الخلق طلبه بأرواحهم فضلاً عن أموالهم ؛ وهذا الاسم يضع من قدره عند ذوى النعم ويرون أنهم يصلون إليه وإلى ما هو أجل منه ببذل اليسير من حطام دنياهم ... الخ^(٢) من هذا نستطيع أن نزيد ما ذهبنا إليه من أن القاضي النعمان بن محمد هو الذي وضع هذه العلوم التي

(١) راجع ما ذكرناه عن ذلك في كتاب المجالس المستنصرية (من مطبوعات دار الفكر العربي)

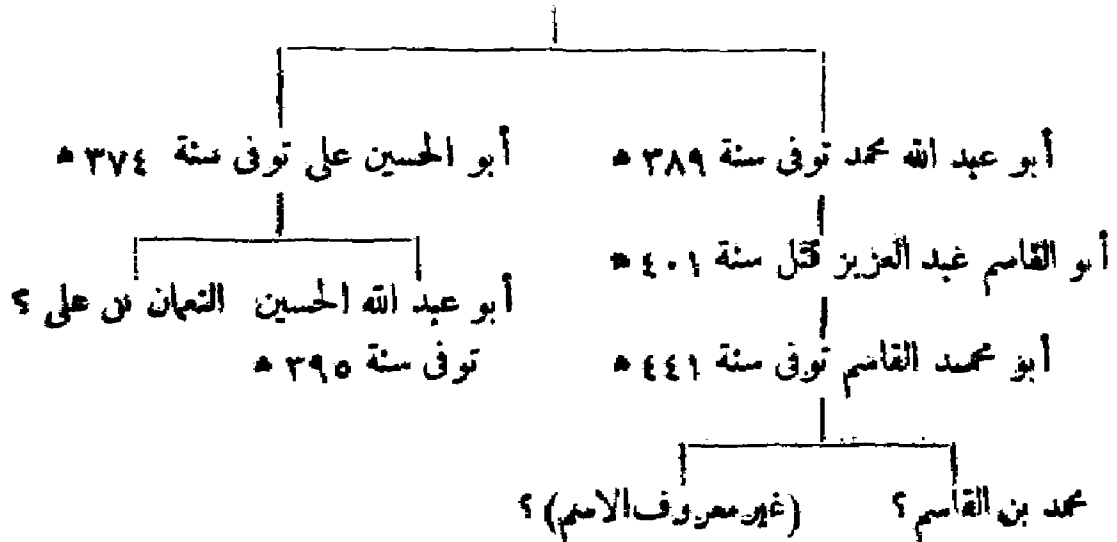
(٢) المجالس والمسائرات ورقة ٧٤ ب

سماها الفاطميون بطولم أهل البيت ، وأنه يملق الأئمة بنسبة هذه الكتب إليهم ، فلا غرو إذا عد النعمان عندهم من أكر علماء الدعوة وفقهائها الأعظم .

وهذا القاضي الفقيه هو مؤلف كتاب المهمة الذي نشره الآن

كان القاضي النعمان بن محمد رأس هذه الأسرة ومؤسسها ، وجاء بعده أبنائه وأحفاده يجمعون ما بدأه هو . فقد عرفوا جميعاً بالعلم وعلم الفقه على نحو خاص وتولوا القضاء والدعوة في مصر إلى عصر المستنصر بالله الفاطمي [٤٢٧-٤٨٧ هـ ١٠٣٥-١٠٩٤ م] . أما أفراد هذه الأسرة الذين وصلنا أخبار عنهم فهم :

القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد توفي سنة ٣٩٣ هـ



٢ — أبو الحسين علي بن النعمان وله بالقيروان في رجب سنة ٣٢٨ هـ (١) ، وقدم مصر مع باقي أفراد الأسرة في محبة المعز لدين الله ، ولما توفي والده النعمان اختار له علي بن النعمان في قضاء مصر مع أبي طاهر الذهلي فظلا يقضيان حتى توفي المعز وولي العزيز ، وعرض لآبى طاهر القاضي مرض الفالج ، فوضع العزيز القضاء إلى علي بن النعمان وذلك في صفر سنة ٣٦٦ هـ ، وظل مقلداً بالقضاء وأبو الحرمة عند العزيز حتى أصابته الحمى وهو بالجامع يقطعي بين الناس فقام من وقته ومضى إلى داره وأقام عليها أربعة عشر يوماً إلى أن توفي يوم الاثنين لست خلون من رجب سنة ٣٧٤ هـ وصلى عليه الإمام العزيز ، وعلي بن النعمان أول من لقب بقاضي القضاء في مصر ، وكان عالماً فقيهاً مثل أبيه . وأورد له الثعالبي شيئاً من شعره مثل قوله :

ول صدق ما حسني عظم مذ وقعت عليه على عدى

أغنى وأقنى فما يكلفني تقبيل كف له ولا قدم
قام بأمرى لما قدمت به ونمت عن حاجتى ولم ينم (١)
ومن شعره أيضا :

صديق لى له أدب صدافة مثله نسب
رعى لى فوق ما برعى وأوجب فوق ما يجب
فلو نفذت خلائقه لهرج عندها الذهب (٢)

فمن هذه الآيات القليلة نستطيع أن ندرك أنه كان شاعراً رقيق الشعر عذب
الديباجة متلاعباً باللفظ ، ومن سوء حظ تاريخ الأدب أن بضيع شعر أمثال
هؤلاء الشعراء . ولا أدري من أين استقى الأستاذ آصف فيظى أن أبا الحسن على
ابن النعمان كان فى مرتبة داعي الدعوة ، فليس لدينا من النصوص ما يؤيد ذلك بل
الذى ذكره المؤرخون أن أول من أضيقت إليه الدعوة من قضاة الفاطميين هو
ولده الحسين بن على بن النعمان ، على نحو ما سنذكره بعد .

٣ - ولما توفى على بن النعمان أرسل الإمام العزيز بالله إلى أبى عبد الله محمد
ابن النعمان يقول : « إن القضاء لك من بعد أخيك ولا نخرجه من هذا البيت (٣) »
وهكذا ولى محمد بن النعمان مرتبة قاضى القضاء وكان فى حياة أخيه ينوب عنه فى
القضاء . فقد حدث أن العزيز لما سار لحرب القرامطة سنة ٣٦٨ هـ اصطحب معه
على بن النعمان وأتاب محمد بن النعمان فى القضاء . ولد محمد بالمغرب سنة ٣٤٥ هـ (٤)
وقدم القاهرة مع أسرته وكان جيد المعرفة بالأحكام متفناً فى علوم كثيرة حسن
الأدب والدراية بالأخبار والشعر وأيام الناس (٥) ، وقد مدحه الشاعر عبد الله
ابن الحسن الجعفرى السمرقندى بقوله :

تعادلت القضاء على أما أبو عبد الإله فلا عدل
وحيد فى فضائله غريب خطير فى مفاخره جليل
تألق بهجة ومضى اعتزاما كما يتألق السيف الصقيل

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٠٥

(٢) يتيمة ج ١ ص ٣٠٦

(٣) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٧

(٤) رفع الإصر ص ١٢٩

(٥) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٨

ويقضى والسداد له حليف ويعطى والغمام له زميل
لو اخترت قضاياء لقالوا يؤيده عليها جبرئيل
إذا رقى المنابر فهو قس وإن حضر المشاهد فالخليل
فلما قرأ محمد بن النعمان هذه القصيدة كتب إلى الشاعر :

قرأنا من قريضك ما بروق بدائع حاكها طبع رقيق
كأن سطورها روض أنيق توضع بينها مسك فتيق
إذا ما أنشدت أرجت وطابت منازلها بها حتى الطريق
وإنا ناثقون إليك فاعلم وأنت إلى زيارتنا تتوق
فواصلنا بها في كل يوم فأنت بكل مكرمة حقيق (١)

وفي سنة ٣٧٥ هـ عقد لابنه عبد العزيز بن محمد بن النعمان على ابنة القائد جوهر
الصقلي في مجلس العزيز ، ثم قرر ابنه هذا في نيابته عنه في الأحكام بالقاهرة ومصر
وعلى منزلة محمد بن النعمان عند الامام العزيز فكان يصعد معه على المنبر (٢) . ويرى
ابن خلكان عن مؤرخ مصر ابن زولاق — وكان معاصراً لابن النعمان — ، ولم
نشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرياسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان ، ولا بلغنا
ذلك عن قاض بالعراق ووافق ذلك استحقاقاً لما فيه من العلم والصيانة والتحفظ
ورأى الحق والهيبة (٣) . فكانت هذه المكانة التي حظى بها القاضي محمد بن النعمان
سبباً في أن يحسده الوزير يعقوب بن كلس ، فقد خشي هذا الوزير اتساع نفوذ
بني النعمان لحاول ما استطاع أن يكسر شوكتهم ويقتص من قدرهم ، فكان يلقض
أحكام القاضي (٤) . وقد روى ابن حجر عن المسيحي قصة تدل على مدى خوف
الوزير من اتساع سلطان ونفوذ بني النعمان وما كان يضمه لهم من حقد وضيعة
وبعد أن ولي الحاكم بأمر الله سنة ٣٨٥ هـ أقر القاضي محمد بن النعمان على
ما بيده من القضاء وزادت منزلته عند الحاكم ، ولكن القاضي تزاحمت عليه العلل
فتوفي ليلة الثلاثاء رابع صفر سنة ٣٩٩ هـ وصلى عليه الحاكم ووقف على دفنه ،

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٨

(٢) شرحه

(٣) شرحه

(٤) رفع الإصر ص ١٢٩

وحزن الحاكم لوفاته فلم يول أحدا مرتبة القضاء إلا بعد شهر فقلدها الحسين ابن علي بن النعمان .

٤ — ولد أبو عبد الله الحسين بن علي بن النعمان بالمدينة سنة ٣٥٣ هـ وقدم مع أسرته إلى القاهرة المعزية ، ومهر في علوم الفقه حتى صار أحد أقطاب فقهاء المذهب الفاطمي وكان ينوب أحيانا عن عمه محمد بن النعمان في القضاء حتى ولى القضاء بعد وفاة عمه ، وفي صفر سنة ٣٩١ هـ بينما كان القاضي جالسا في الجامع بالفسطاط يقرأ علوم الفقه ، أقيمت صلاة العصر ، فقام يؤدي الفريضة فينبأ هو في الركوع هجم عليه رجل مغربي وضربه بمنجل في رأسه ووجهه فحمل جريحا إلى داره ، وظل إلى أن اندمل جرحه فصار منذ ذلك اليوم يحرسه عشرون رجلا بالسلاح ، وكان إذا صلى وقف خلفه الحرس بالسيوف حتى يفرغ من الصلاة ثم يصلي حرسه . ولانعرف أن قاضيا من قضاة المسلمين في التاريخ كان يصلي والشرطة تحرسه غير الحسين بن علي بن النعمان . وزاد الحاكم في تكريمه فأمر بأن يضاف له أرزاق عمه وصلاته واقطاعاته ودوض إليه الخطابة والإمامة بالمساجد الجامعة ، وولاه الدعوة وقراءة مجالس الحكمة التأويلية بالقصر ، فهو أول قاض أضيفت إليه الدعوة من قضاة الفاطميين (١) . وبظهر أنه قد دب ديب الشقاق إذ ذاك بين بني النعمان ، فقد طالب هذا القاضي ابن عمه عبد العزيز بن محمد بن النعمان ببعض ودائع كانت في الديوان أيام ولاية محمد بن النعمان على القضاء ، وتشدد القاضي في مطالبة ابن عمه حتى ألزمه أن يبيع كل ما خلفه أبوه سدا لهذه المطالبة ، ولست أدري أكان تشدد القاضي عن دين وورع أم عن حسد وغيره بن بني الأعمام ، ومهما يكن من شيء فقد صرف هذا القاضي عن مرتبة القضاء والدعوة في رمضان سنة ٣٩٤ هـ وأصابته نقمة الحاكم فحبسه وضرب عنقه في أوائل سنة ٣٩٥ هـ ، وهكذا انتهى حنقه بيد الحاكم بعد أن كان مكرما لديه مقربا إليه .

٥ — ولى عبد العزيز بن محمد بن النعمان القضاء بعد ابن عمه . ولد في المغرب في أوائل ربيع الأول سنة ٣٥٥ هـ ، وكان ينوب عن أبيه في القضاء ، وكان عالما من علماء الدعوة وهو الذي ينسب إليه كتاب البلاغ الأكبر والناموس الأعظم

(١) كتاب الولاية والقضاء للكندى ص ٥٩٦ وما بعدها

في أصول الدين ، وهو الكتاب الذي رد عليه القاضي أبو بكر الباقلاني (١) وقيل إن هذا الكتاب من تصنيف عمه علي بن النعمان . والقاضي عبدالعزيز بن محمد بن النعمان هو أول من رلى النظر على دار العلم (٢) التي أسسها الحاكم . وكان يجلس في الجامع ويقرأ على الناس كتاب جده النعمان ، واختلاف أصول المذاهب ، وبالرغم من أن الحاكم بأمر الله قربه إليه في أول الأمر وخصه بمجالسته ومسايرته ، فإن القاضي لم ينج من نزوات الحاكم فقد عزله عن القضاء سنة ٣٩٨ هـ ثم اعتقله في السنة التالية ، ثم عفا عنه وأعاد إليه النظر في المظالم وخلع عليه ، وفي سنة ٤٠١ هـ اضطر هذا القاضي إلى أن يهرب من وجه الحاكم هو وصهره الحسين بن جوهر القائد فصادر الحاكم بيوتهما وحمل كل ما كان فيها ثم كتب لهما بالأمان وخلع عليهما ولكنه أمر بقتلهما في ثاني عشر من جمادى الآخرة سنة ٤٠١ هـ .

وبعد هذه المأساة ضعف أمر بني النعمان وساءت حالهم ، ولم يبق لهم تلك السطوة ولا ذلك النفوذ حتى أن القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان ولي القضاء سنة ٤١٨ هـ ولكنه لم يمكث في هذه المرتبة سوى عام وشهرين ، وأعيد مرة أخرى إلى القضاء سنة ٤٢٧ هـ وأضيفت إليه الدعوة ، ويقول عنه المؤيد في الدين هبة الله بن موسى في سيرته : « وتوجهت إلى الموسم بالقضاء والدعوة وهو يومئذ القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان رحمه الله وإيانا فرأيت رجلا يصول بلسان نسيه في الصناعة التي وسم بها دون لسان سيه ، فارغا مثل فؤاد أم موسى عليه السلام ، وفيه جنون يلوح من حركاته وسكناته » (٣) وعزل القاسم عن هذه المراتب سنة ٤٤١ هـ ويحدثنا المؤيد أيضا أن نساء بني النعمان تشفعن للقاسم عند أم المستنصر والخنف عليها في السؤال لإعادته إلى مناصبه ، فعينه اليازوري سنة ٤٤٢ هـ نائبا له في الدعوة فقبل القاسم أن يكون نائبا للداعي بعد أن كان أصلا في هذه المرتبة ، واستمر القاسم بن عبد العزيز نائبا لليازوري في مرتبة الدعوة حتى أقعده المرض فأناوب ابنه محمد بن القاسم في الدعوة واستمر هذا نائبا عن والده في نيابة الدعوة حتى سنة ٤٥٠ هـ . ثم لم نعد نسمع

(١) الكندي ٦٠٣

(٢) شرحه

(٣) السيرة المؤيدية

شيئا عن هذه الأسرة التي ظلت زهاء قرن في مكانة رفيعة عالية وفي اتصال دائم بالائمة الفاطميين ، كما كان لهذه الأسرة أثرها في بث العقائد الفاطمية في نفوس الناس بتصنيف الكتب وإلقاء مجالس الدعوة ، وبأحكامهم في القضايا حسب فقه المذهب الفاطمي الذي وضعه القاضي النعمان بن محمد مؤسس هذه الأسرة .

موضوع الكتاب :

وقد وقع اختيارنا على نشر هذا الكتاب الآن لأن موضوعه يتصل بالإمامة ، والإمامة أهم عقيدة في عقائد الفاطميين بل في عقائد الشيعة عامة ، فهي إحدى دعائم الإسلام بل الإمامة المحور الذي تدور عليه عقائد الشيعة ، فلا دين عندهم لمن لا يعتقد إمامة الأئمة المنصوص عليهم من أهل بيت الرسول ، ولا يقبل الله عمل مسلم إن لم يعتقد ويؤمن بولايتهم ويطيعهم مثل طاعتهم للرسول الكريم وطاعتهم لله تعالى فهذه ثلاث طاعات مقرونة متصلة أمر بها الله تعالى في كتابه الكريم (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) فالأئمة هم أولو الأمر الذين ذكرهم الله تعالى في هذه الآية الكريمة ، ويروى علماء الشيعة قولاً مأثوراً عن الامام جعفر الصادق (بنا يعبد الله وبنا يطاع الله وبنا يعصى الله ، فمن أطاعنا فقد أطاع الله ، ومن عصانا فقد عصى الله ^(١)) ونظم المؤيد في الدين داعي الدعاة هذه العقيدة بقوله

وهم أولوا الأمر ائمة الهدى عصمة من لا ذنبهم من الردى
مفروضة طاعتهم على الأمم قاطبة من عرب ومن عجم
اقرأ : أطيعوا الله والرسولا ثم أولى الأمر بهم موصولا
ثلاث طاعات غدت معلومة في آية واحدة منظومة ^(٢)

فمقيدة الشيعة عامة على اختلاف فرقهم تدين بأن المرء لا يكون مسلماً مؤمناً إلا بطاعة الامام من أهل البيت ومعرفة ، ولهم في التدايل على ذلك كله أحاديث عن النبي صلوات الله عليه مثل : « من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية » ^(٣)

(١) دعائم الاسلام ج ١ ص ٣٩ نسخة خطية بمكتبتي . وبحار الأنوار ج ٨ ص ١٦
(٢) القصيدة الثانية من ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة (من مطبوعات دار الكتاب المصري)
(٣) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢١ والمجالس المؤيدية المجلد الأول ص ١٥٤ (نسخة خطية بمكتبتي)

ويرى الشيعة أن الإمام جعفر الصادق فسر هذا الاثر بقوله : «الجاهلية جاهليتان ،
جاهلية كفر ، وجاهلية ضلال ؛ فجاهلية الكفر ما كان قبل مبعث النبي (ص) ،
وجاهلية الضلال ما يكون بعد مبعثه فيمن ضل عن إمام زمانه ، وكقوله (ص)
« معرفة الله معرفة إمام الزمان » ، إلى غير ذلك من أمثال هذه الأحاديث
التي ينسبها الشيعة إلى النبي (ص) وينفيها عنه غيرهم من المسلمين لأن موضوع
الإمامة هو قوام عقيدة الشيعة كما رأينا وهو أساس الخلاف الذي بين الشيعة
وبين جمهور أهل السنة ، فلا غرو أن رأينا الشيعة يؤلفون كتباً مفردة عن
« الإمامة » ، ويجعلون فصولاً من كتبهم في الإمامة ، وسأهم الفاطميون الاسماعيلية
في التأليف عن الإمامة ، فكتب القاضي النعمان بن محمد «كتاب التوحيد والإمامة» ،
و«كتاب الهمة في آداب أتباع الأئمة» ، وصنف الداعي أحمد بن إبراهيم النيسابوري
(وكان من دعاة الحاكم) كتاب «إثبات الإمامة» ، والداعي أحمد حميد الدين بن عبد الله
الكرماني (وكان من دعاة الحاكم) كتاب «المصابيح» ، ورسالة «مباسم البشارات» ،
و«الرسالة الواعظة» ، وغيرها ، وكتب الداعي أبو الفوارس أحمد بن يعقوب
رسالة في الإمامة ، وألف الداعي أبو يعقوب السجستاني «خزائن الأدلة» ، ويطول
في الأمر لو أحصيت كل ماترك الفاطميون من كتب في إثبات إمامة المسلمين لأهل
بيت الرسول الكريم .

وبالرغم من أن الدولة الفاطمية قامت على أساس ديني وسياسي معا ، واتخذت
الأئمة من نسبهم إلى الرسول صلوات الله عليه قوة يؤيدون بها دولتهم وينشرون بها
سلطانهم ودعوتهم الدينية ، فإن خصوم الفاطميين أخذوا يحاربونهم بنفس سلاحهم
فطوراً ينفون نسبهم إلى الرسول ، وطوراً آخر يصفون الأئمة الفاطميين بأنهم
يؤلهون أنفسهم ويقولون بالحلول والتناسخ وعلم الغيب ، وأنهم يذهبون في عقيدتهم
مذهباً هو أقرب إلى المذاهب الإباحية ، فلم يجد خصوم الفاطميين موقفة إلا رموا
بها الفاطميين ، نرى ذلك كله في كل كتاب من كتب التاريخ وغير التاريخ من الكتب
التي عرضت للدولة الفاطمية والعقائد الفاطمية ، ولكننا إذا قرأنا كتب الفاطميين
السرية التي استطعنا الحصول عليها ، والتي نعمل على نشرها في «سلسلة مخطوطات
الفاطميين» ، نرى عكس ما كتبه المؤرخون ، فما قاله المؤرخون عن ادعاء المعز والعزير
بالله وغيرهما علم الغيب وأنهم كانوا يرصدون الكواكب للوصول إلى معرفة هذا الغيب

أن المعز علم من مطالعته للنجوم واستقرائها أن قطعا في طالعه ، فلما جاء موعد ذلك القطع اختفى المعز في مرداب في جوف الأرض ومكث فيه حولا كاملا ، فكان المغاربة إذا رأوا غماما ترجل الفارس منهم وأوماً بالسلام على المعز أمير المؤمنين^(١) . وقال المؤرخون أيضا إن العزيز بالله ورث عن أبيه علوم التنجيم وادعاء الغيب ، وروون تهكم شعراء مصر بالعزيز ، فقد قيل إن العزيز بالله صعد يوما المنبر فرأى رقعة فيها

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحقاقة

إن كنت أعطيت علم غيب فقل لنا كتاب البطاقة

وتضيف الرواية أن العزيز ألقع عن ادعائه الغيب بعد ذلك ، وروى ابن ميسر في تاريخه أن النيل زاد وبلغ الماء الباب الجديد ، أول الشارع خارج القاهرة ، فلما بلغ الحافظ ذلك أظهر الحزن والانقطاع ، فدخل إليه بعض خواصه وسأله عن السبب فأخرج له كتابا فإذا فيه : وإذا وصل الماء الباب الجديد انتقل الإمام عبد المجيد ، ثم قال الحافظ وهذا الكتاب الذي نعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا وما يأتي بعدهما^(٢) ، فمثل هذه الروايات التي امتلات بها الكتب التاريخية إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الفاطميين ادعوا علم الغيب ، ولكن إذا قرأنا الكتب السرية للدعوة الفاطمية نعجب أشد العجب من أقوال هؤلاء المؤرخين الذين ادعوا هذا الادعاء على الفاطميين ، فقد نرى علماء الدعوة ودعاتها هذه المقالة عن أئمتهم ، فالقاضي النعمان يقول في كتابه المهمة الذي تقدم له الآن مما نصه : — فإننا لانقول ما قاله الغلاة الضالون المبطلون الصادون عن أوامير الله الدافعون لإمامتهم الزاعمون أنهم يعلمون غيب الله وما تخفى صدور عباده ، تعالى الله الذي تفرد به ذلك دون خلقه ولم يطلع ماشاء منه إلا من ارتضى من رسله ، وإنما أراد هؤلاء الفسقة بما نسبوه إلى الأئمة صلوات الله عليهم من ذلك دفع إمامتهم ، لأنهم لما زعموا أن الأئمة يعلمون الغيب والناس يرونهم لا يعلمون من أمور الناس إلا ما ظهر منها لهم لم يكونوا أئمة عند أولئك الفسقة ولا عند من قبل منهم ، إذ لم تكن تلك الصفة التي وصفوهم بها منهم^(٣) .

(١) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٨ والكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٢٢٠

(٢) ابن ميسر حوادث سنة ٥٤٣ هـ وخطط المقرئ ج ١ ص ٩٧

(٣) راجع ص ٥٣ من هذا الكتاب

ويقول جعفر بن منصور البين في كتابه الكشف : قال الله تعالى : قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك . وهذا قول نوح عليه السلام الذي ذكر الله في كتابه عنه ، وكل هذا دليل على أن الأئمة والرسول لا يعلمون إلا ما علمهم الله بوحيه وتأنيده ونوره وتبليغه عند الله جل ذكره (١) ، ومن أقوال المعز لدين الله في ذكر النجامة والمنجمين : من نظر إلى النجامة ليعلم عدة السنين والحساب ومواقيت الليل والنهار وليعتبر بذلك عظيم قدرة الله جل ذكره وما في ذلك من الدلائل على توحيد الله لا شريك له فقد أحسن وأصاب ومن تعاطى بذلك علم غيب الله والقضاء بما يكون فقد أساء وأخطأ ولقد كان المنصور بالله من أعلم الناس بها ولقد قال لي غير مرة : والله ما نظرت فيها إلا طلباً لعم توحيد الله وتأثير قدرته وعجائب خلقه ، ولقد عانيت ما عانيت من الحروب وغيرها فما عملت في شيء من ذلك باختبار مني دلائل النجوم ولا التفت إليه ، فهذا كله يدل على أن الفاطميين لم يدعوا علم الغيب ولم يهتموا برصد النجوم لاستطلاع الغيب ، وإن كان بعض المعاصرين لهم غالوا فيهم فادعوا عليهم هذا الادعاء حتى خيل للناس أن الأئمة يعرفون الغيب حقاً ، واختلف الناس في أمرهم بين مصدق ومكذب ، وكثر الجدل حول هذه القضية بما صوره الأمير تميم بن المعز لدين الله في إحدى قصائده التي خاطب بها أخاه العزيز بالله .

ولما اختلفنا في النجوم وعلمها	وفي أنها بالرفع والضر قد تجري
فمن مؤمن منا بها ومكذب	ومن مكثر فيها الجدل ولا يدرى
ومن قائل تجري بسعد وأنحس	وتعلم ما يأتي من الخير والشر
فعلمتنا تأويل ذلك كله	بما فيه من سر وما فيه من جهر
عن الطاهر المنصور جدك ناقلنا	وكان بها دون البرية ذا خبر
فاخبرتنا أن المنجم كاهن	بما قال ، والكهان من شيعه الكفر
وأن جميع الكافرين مصيرهم	إلى النار في يوم القيامة والحشر
لجمعتنا بعد اختلاف ومريه	وألفتنا بعد التنافر والزجر
وأوضحت فيها قول حق مبرهن	بجلي ظلام الشك عن كل ذي فكر
فعدنا إلى أن الكواكب زينة	وفيها رجوم للشياطين إذ تسرى

(١) كتاب الكشف لجعفر بن منصور البين (نسخة خطية بمكتبي)

مسخرة مضطرة في بروجها تسير بتدبير الإله على قدر
وأن جميع الغيب لله وحده تبارك من رب ومن صمد وتر
وما علمت منه الأئمة ، إنما روي عن المختار جدهم الطاهر (١)
فلعل هذه القصيدة توضح ما كان عليه الناس في أمر ادعاء الأئمة الغيب ،
وتصور لنا تصويراً صادقاً اختلافهم في ذلك . فلا شك أن الفاطميين كان لهم
خصوم أقوياء ، وأن هؤلاء الخصوم تلقفوا الإشاعات لجعلوا منها رواية واقعية —
إن صح هذا التعبير — وجاء المؤرخون فأخذوا هذه الرواية ودونوها في كتبهم
ولم يحققوا المسألة تحقيقاً علمياً ، فقصيدة الأمير تميم وأقوال علماء الدعوة تنفي
ما جاء به المؤرخون وتبرئ الفاطميين من هذه التهمة التي وصموا بها طوال مدة
حكمهم وبعد أن دالت دولتهم حتى يومنا هذا ، فلا يزال نرى المؤرخين والكتاب
يأخذون عن القدماء مثل هذه الأقوال والروايات .

كما ادعى القدماء أن الفاطميين كانوا يذهبون مذهب أهل التناسخ ويقولون
بالتلاشي ، بينما نرى في كتب الدعاة وأشعارهم ما يدفع عنهم هذا الادعاء ، فها هو
المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة يقول في إحدى قصائده .

أيها المدعي التلاشي حقاً ذا الذي تدعى عليك وكيـل
أترى هذه الصنائع طرا عبثاً ، ما لصانع محـصول
حركات الاجرام قل لي لماذا ؟ ولماذا طلوعها والأفول ؟
ألم في مجالها الفعل أم لا ؟ فبغير إذن يجوز تحـمول
إن تقل ذاك فعلها باختيار أنكرت منك ما ادعيت العقول
إن فيما دنا من الماء والنار على ما عللنا التثـليل
ولئن قلت : ذاك غير اختيار قلت : كل مدبر محـمول
فاذا كان هكذا ثبت الحما مل والفاعل اللطيف الجليل
فاذا كان فاعل متقن الفعل وما دونه له مفعول
فالتلاشي لفعله منحيل جل عما به عليه تحـيل
والذي قال إنه النسخ والفسخ وماذا بغير دنيا حلول

فهم عن جوهر النفوس البسيطة ومن حيث بدئها مستول
فلئن كان يثبت الأصل منها فكذا نحوه يكون القبول
ولئن كان نافيا قيل مهلا فلهذا المشاهدات أصول
فثواب يكون بالأكل والشراب فذاك العذاب والتنكيل
إنما التذ بالمأكل دفعا لمضراته الشروب الأكل
وثواب الإله أمر خفي ماله في المشاهدات عدل (١)

وفي رد هذا الداعي على القائلين بالتلاشي والتناسخ دليل قوى على أن أئمتهم
لاندن بهاتين المقالتين . فلا تتلاشى الأرواح ولا تناسخ في عقيدة الفاطميين
ولا أدري من أين استقى المؤرخون أقوالهم عن الفاطميين . ومن عجب أن يذهب
المؤرخون إلى أن الفاطميين كانوا يدينون بالإباحة وتعطيل الشرائع ، فتاريخ
الفاطميين لا يدلنا على ذلك . وما جاء عن المؤرخين أنفسهم يدل على أن الفاطميين
كانوا يتخذون الدين الإسلامى الحنيف ونسبهم من رسول الله وسيلة لتوطيد حكمهم
في البلاد التي أخضعوها لسلطانهم ، وأنهم أكثروا من بناء المساجد ، وكانوا
يحتفلون بالأعياد الإسلامية احتفالات لم نسمع لها مثيلا في الدول الإسلامية الأخرى ،
أضف إلى ذلك أن كتب الفاطميين السرية تدعو إلى التوحيد والإيمان والعمل
بالشريعة والسنة ويكفي أن نقرأ قول المؤيد في الدين .

فكيف شرع الأنبياء ندفع ومالنا إلا النبي مرجع
بنوره في الدرجات ترتقى وبالكرام الكاتين نلتقى
يا رب فالعن جاحدى الشرائع ورمهم بأجمع الفجائع
والعن إلهى من يرى الإباحة بلعنة فاضحة محتاجة
والعن إلهى غالبا وقاليا ولا تذر في الأرض منهم باقيا
يا رب إنا منهم براء هم واليهود عندنا سواء
فاخزم واخز من ومانا برية ولقه الهوانا (٢)

ويقول الكرمانى في كتابه راحة العقل : إن النفس بكونها في عالم الطبيعة ظهور
الذات فيها أسبق إليها من سبق النار إلى النفط ، وليس يدفع عنها تلك الذات إلا

(١) القصيدة الخامسة من ديوان المؤيد في الدين داعى الدعاة

(٢) القصيدة الأولى

الشريعة وأحكامها فمن لزم الأمر ، وراض نفسه بالقيام تحت أثقاله فهو أخونا حقاً يجد لذة في نفسه عند كل مقام صدق ، ومن فسق عنه بأن يقوم ببعض ويترك البعض ، أو يخل بالكل فما يضر إلا نفسه ، ويفعل الله به الواجب في حكمه وهو سريع الحساب،^(١) ويقول المؤيد في مجالسه واستعيذوا بالله من قوم يقولون بأفواههم أنهم شيعة وهم من طلائع الكفر والالحاد شر طليعة يستوطنون مركب الإباحة ويميلون ميل الراحة ، ولا يزالون كذلك حتى يحلوا من تكاليف الشريعة كل عقد ويردوا من مهاوى الردى في تحليل المحرمات شر ورد ، وهؤلاء أضرب بالدين وبالمؤمنين من شهر سيفه وشرع رمحهم إلى أئمتهم بالبغضاء ، ولم يزل من مضى من أمير المؤمنين على بن أبي طالب والأئمة من ذريته إلى إمام الزمان براء إلى الله تعالى من هذه سبيله سرا وجها ينشرون في صحف الخزى على من دان دينهم ،^(٢) . وهكذا تدل أقوال الدعاة وشعرهم على محافظة الفاطميين على الشرائع والعمل بما أوجبه فرائض الدين وسننه ، شأنهم في ذلك شأن جمهور أهل السنة وشأن أبناء عمومتهم الشيعة الاثني عشرية والشيعة الزيدية ، فهذه الفرق الثلاث من فرق الشيعة لا تختلف عن جمهور أهل السنة إلا في مسألة الإمامة ، والإمام عندهم جميعاً من البشر يجرى عليه ما يجرى على سائر بني الإنسان من موت وحياة ، وليس الإمام عندهم إله يعبدونه كما وهم خصومهم ، ولم أجد في كتاب واحد من كتب الشيعة الاثني عشرية أو الشيعة الاسماعيلية أو الزيدية أنهم نظروا إلى أئمتهم على أنهم آلهة ، قاله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له بذلك دان المسلمون جميعاً سنيهم وشيعتهم ، إلا إذا استثنينا الغلاة الذين لبسوا من الشيعة في شيء وإن ظنوا أنفسهم شيعة ، فقد صدق فيهم قول المؤيد استعيذوا بالله من قوم يقولون بأفواههم أنهم شيعة وهم من طلائع الكفر والالحاد شر طليعة ، فهؤلاء الذين ألحوا الأئمة قد تبرأ منهم الفاطميون الاسماعيلية وتبرأ منهم الشيعة الاثنا عشرية كما تبرأ منهم أهل السنة .

ورب معترض يقول ، إذا صح ذلك كله وأن الفاطميين تبرأوا من أله الأئمة فما قولهم في قضية الحاكم بأمر الله ؟ وما الرأي في قول ابن هاني الاندلسي .

(١) راحة العقل ص ١٧ (من مطبوعات الجمعية الاسماعيلية ببومباي)

(٢) المجالس المؤيدية .

ما شئت لا ما شئت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار
لجواني على ذلك هو الرجوع الى أقوال دعاة الحاكم بأمر الله أى دعاة المذهب
الاسماعيلي ، وقد وصلنا من حسن الحظ ، الرسالة الواعظة ، للداعي أحمد حميد
الدين الكرمانى ، وفيها يقول لمن كان يدعو الى تأليه الحاكم ، وأما قول أصحابك
إن المعبود تعالى هو أمير المؤمنين فقول كافر تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الأرض وتخر الجبال هدا ، إن دعوا للاله المعبود غيرا ، فيا لجسارة على الله حين جعلوا
له تعالى شريكا ما أعظمها ، وبالجراءة على الله تعالى حين جعلوا المعبود غيره تعالى
ما أفضعها ، ولقد قالوا عظيما وافقوا انما مبدئنا ، وإن ذلك الاكفر محض فما أمير
المؤمنين الا عبد الله خاضع وله طائع يسجد لوجهه الكريم ، ويعظمه غاية التعظيم ،
وباسمه يستفتح ، وعليه فى أموره يتوكل ، وأمره اليه يفوض ، وهو سلام الله عليه
يتبرأ الى الله تعالى من يعتقد ذلك فيه ،^(١) فهذا رأى دعاة الفاطميين فى الحاكم بأمر
الله نستدل منه على أن الذين قالوا بالوحيته وغلوا فيه هذا الغلو خرجوا عن الإسلام
لا عن المذهب الاسماعيلي لحسب ، شأنهم فى ذلك شأن الغلاة فى كل مذهب وكل دين ،
ومن الحق على المؤرخين ألا يخطوا بين الغلاة وبين فرق الشيعة ، فلا يرموا الفاطميين
بما قاله الخارجون عن مذهبهم .

أما شمر ابن هانئ والمؤيد فى الدين وابن الاخفش وغيرهم من شعراء الفاطميين ،
فهؤلاء الشعراء مدحوا أئمتهم مدحا يتفق مع عقائد الفاطميين فى التوحيد ، ذلك أن
الفاطميين تزهوا الله تعالى عن كل الصفات ، ونهوا عنه تعالى كل ما يليق بمبدعاته
لأن هذه الصفات موجهة للأنداد والأضداد ، والله سبحانه وتعالى ليس له مثيل ولا ضد ،
فاتفق الفاطميون فى هذا الرأى مع المعتزلة ، أما أسماء الله الحسنى التى وردت فى
القرآن الكريم فقد أولها الفاطميون على أنها أسماء وصفات ، العقلى المكلى ، الذى
هو أقرب الحدود الروحانية اليه تعالى وأسبق هذه الحدود الى معرفة الله عز وجل
والى توحيده ، ففضله الله على سائر مبدعاته ، وفى العقل المكلى ورد الحديث القدسى
« أول ما خلق الله العقل ، فقال له أقبل فأقبل ، وقال له أدبر فأدبر فقال بعزى
ما خلقت خلقا هو أعز منك بك أثيب وبك أعاقب »^(٢) الخ

(١) الرسالة الواعظة (ضمن مجموعة رسائل الكرمانى — نسخة خطية بمكتبتي)

(٢) ورد هذا الحديث فى صحيح البخارى ، وانكره عدد من العلماء وعلى رأسهم ابن تيمية
الذى وضع رسالة فى هذا الحديث

وبناء على ذلك أول الفاطميون قوله تعالى « والله الأسماء الحسنى فادعوه بها » بأن المؤمن عليه أن يتقرب إلى الله ويعبده حق عبادته بمعرفة الحدود الروحانية — وهم الملائكة — المقربين إليه ، وبناء على نظرية المثل والمثول^(١) نجد حدوداً جسمية تقابل الحدود الروحانية ، والنبي في عصره هو الذى يقابل العقل الكلى ، وصفات العقل الكلى تطلق على النبي ، ولما كان الإمام هو خليفة النبي (ص) والقائم مقامه فتطبق عليه أيضاً هذه الصفات التى هى صفات وأسماء العقل الأول (الكلى) . فإذا فهمنا الشعر الفاطمى على هذا النحو ، ووقفنا على هذا المعنى الذى قصده الشعراء لانبجذ في أشعارهم شيئاً من تأليه الأئمة ، وقد صرح المؤيد في الدين بأنه لا يسمى إمامه رباً بقوله :

لست دون المسيح سماء رباً أهل شرك ، ولانسميك رباً^(٢) .

فهو يرمى الذين ألخوا المسيح بالشرك وينفى عن أئمتهم أنهم آلهة ، فكيف تتبع القدماء بعد ذلك في كل ما أذاعوه وادعوه عن الفاطميين .

ونرى في هذا الكتاب الذى بين أيدينا الآن صورة عن مرتبة الإمامة تختلف تمام الاختلاف عما وهمه المؤرخون وذكره في كتبهم عن تأليه الأئمة الفاطميين ، فالمؤلف ذكر أكثر من مرة أن الفاطميين يفرقون بين مرتبة النبوة ومرتبة الإمامة فالأنبياء أفضل من الأئمة ، ومرتبة النبوة أعلى وأجل من مرتبة الإمامة^(٣) ، بل أجد في كتب فاطمية أخرى مثل كتاب المجالس المؤيدية أن الفاطميين جعلوا مرتبة الإمامة في الدرجة الثالثة بعد مرتبة النبوة ومرتبة الوصاية . ولذلك قالوا إن على بن أبى طالب وصى النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس بإمام من أئمتهم ، وأن

(١) راجع ما كتبناه عن هذه النظرية في مقدمة ديوان المؤيد داعى الدعاة — وفي مقدمة كتاب المجالس المستنصرية

(٢) القصيدة الخامسة عشرة من ديوان المؤيد في الدين

(٣) راجع ص ٣٩ ، ص ٤٥

أول إمام بعد الوصي هو الحسن بن علي بن أبي طالب (١) ، فإذا كان هذا هو رأى الفاطميين في أئمتهم فكيف نقبل قول المؤرخين عنهم .

وهكذا نستطيع أن نتخذ هذا الكتاب من مصادر عقائد الفاطميين ، فالمؤلف لم يأراء كثيرة هامة كانت غير واضحة عندنا فقد قرأنا عنها مشوهة في كتب غير فاطمية ، وكدنا نساير القدماء في آرائهم ، لولا أن قبض لنا الله الاطلاع على هذا الكتاب وعلى غيره من كتب الفاطميين فاضطررنا إلى البحث في أقوال الفاطميين وأقوال خصومهم للوصول إلى الحق عن عقائد الفاطميين ، فمن المسائل الدقيقة التي عرض لها مؤلف هذا الكتاب ، مسألة السجود للأئمة (٢) ، وهذا الموضوع كان من الموضوعات التي أثارته حفيظة أهل السنة وجعلتهم يرمون الفاطميين بالشرك والكفر ، وجاء صاحب هذا الكتاب فدافع عن عقيدته بقوله : « والرعاع وأوباش الناس والعوام ينكرون ذلك (السجود) ويرونه سجوداً من دون الله للأئمة ، تعالى الله عن قولهم ، ونزه أوليائه من افتراءهم عليهم ، وأخذ في تفسير السجود لله تعالى الذي هو فريضة من فرائض الدين ، وبين شروطه وأحكامه ، وأظهر أن السجود للأئمة لا يتوافر فيه هذه الشروط ولا تلك الفرائض ، فليس هو بسجود إنما جعله أشبه شيء بتقبيل الأرض احتراماً وإجلالاً للأئمة كما هو الأمر عند خلفاء العباسيين وغير العباسيين من أمراء البلاد الإسلامية فقد كانت تحية الوافدين عليهم هي تقبيل الأرض بين أيديهم ، ولم يقل أحد إن هؤلاء الوافدين كانوا يسجدون لهؤلاء الأمراء ، وهكذا يمتضى المؤلف في حديثه ودفاعه عن أئمة . وربما كان هذا الدفاع مقبولاً — إلى حد ما — من عالم فقيه مثل مؤلف هذا الكتاب ، لأن له من علمه وفقهه ما يجعله يعتقد هذا الاعتقاد ، ويقبل الأرض بين يدي إمامه عن عقيدة أنه لا يسجد له ، ولكن ما رأى عند هؤلاء الذين حظوا بمقابلة الأئمة ولم يكن لهم علم هذا المؤلف ولا فقهه ؛ وهل قرأ هؤلاء الذين قابلوا الأئمة هذا الفصل من هذا

(١) المجالس المؤيدية في مواضع متفرقة . ونلاحظ أن الزارية الأغانية اليوم يقولون بأن علياً هو أول إمام من أئمتهم وأن الحسن بن علي كان مستودعاً لأخيه الحسين ، فاختلقوا بذلك عن العقيدة الاسماعيلية القديمة وعن البهرة (الاسماعيلية المستعلية)

(٢) راجع ص ١٠٥

الكتاب حتى يستطيعوا أن يفرقوا بين السجود لله تعالى وتقبيل الأرض بين يدي الأئمة ؛ أليست هذه المسألة الدقيقة كانت سببا في أن يجد بعض أتباع المذهب غالى في دينه فجعل تقبيل الأرض سجودا . وتطورت به هذه الفكرة إلى تأليه الأئمة ، فابتعد عن حقيقة المذهب وخرج عن الدين كله ١١ . فلعل مثل هذه المسائل الدقيقة كانت مصدرا من مصادر غضب أهل السنة وسخطهم على أئمة الفاطميين وعلى كل من دان بعقيدتهم .

ومسألة أخرى تحب أن توجه إليها الأنظار ، وهي التي عرض لها المؤلف في الفصل الذي عقده بعنوان : ذكر ما يجب للأئمة الصادقين أخذه من أموال المؤمنين والمؤمنات ، (١) فكتب التاريخ أطنبت في ذكر ثراء الفاطميين ، واسرافهم في النفقات ، وإقامة الحفلات في الأعياد والمواسم التي أكثروا من ابتداعها حتى خيل لنا أن أيام الفاطميين كانت كلها مواسم وحفلات ، وأن الفاطميين قد ورثوا مال قارون الذي لا ينقذ ، وحاول المؤرخون أن يعرفوا مصدر هذه الأموال والكنوز التي كانت تتدفق على الخزانة العديدة التي أنشأها الفاطميون ، وكاد يجمع المؤرخون على أنها أموال التجوى التي كان يأخذ الدعاة من المستجيبين في كل مرتبة من مراتب الدعوة ، ولكن مؤلف كتاب المهمة لا يذكر شيئا عن هذه التجوى وإنما ذكر لونا آخر من أنواع جباية الأموال ، وهو ما عرف بأموال الغنيمة ، والغنيمة في الأصل ليست من ابتداع الفاطميين فقد وردت في القرآن الكريم : واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل (١) ، وذهب جمهرة المفسرين والفقهاء على أن الغنائم هي ما يصيب المسلمون من عساكر أهل الشرك في الجهاد في سبيل الله وأفردت الدول الإسلامية : ديوان الجيش ، لجمع الغنائم وتقسيمها على المجاهدين وغيرهم مما ورد ذكرهم في الآية القرآنية ، وإن كان الفقهاء والمؤرخون قد اختلفوا فيما بينهم في ما كان الأمر بهد وفاة الرسول في نصيبه واختلفوا في المقصود بذى القربى ، فذهب بعضهم إلى أن ذى القربى هم بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، وقال آخرون ذو قربى الامام خليفة الرسول (٢) ، أما الشيعة عامة

(١) سورة الأنفال آية ٤١

(٢) راجع كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٢١ وما بعدها . وكتاب الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٢٥ وما بعدها وتفسير ابن كثير القرشي ج ١ ص ٣١ (طبعة مصر سنة ١٩٣٧) ، وفتح

فقالوا إن هذه اسمهم أهل البيت دون غيرهم ؛ على أن مؤلف كتاب المهمة يذهب في تفسير الغنيمة تفسيرا لغويا بأن المقسم هو المكسب ، فكل ما يكتسبه الإنسان فهو غنيمة وعليه أن يخرج خمس ما يكتسبه للإمام ، وهو رأى غريب لا أكاد أجد له مثيلا بين آراء الفقهاء والمفسرين ، ومهما يكن من شيء فإن هذا الفصل بطلنا على سر من أسرار الفاطميين في ناحية من النواحي المائة .

فالكتاب على هذا النحو قيم لكل من شاء أن يدرس عقائد الفاطميين أو تاريخهم . وهذا الكتاب الذي ننشره الآن هو من تلك الكتب التي تتحدث عن الإمامة وما يجب اتباعه نحو الأئمة ، وما يجب أن يتحلى به كل مؤمن بدعوة الفاطميين ، وسرى في هذا الكتاب ما يجب أن يتوافر في الداعي من صلاح نفسه قبل أن يبدأ في الدعوة . أضف إلى ذلك كله فهذا الكتاب يربنا بعض نواحي الآداب التي كانت تتبع في العصر الفاطمي في مجلس الإمام

هذه الآداب التي اشتمل عليها هذا الكتاب هي نفس الآداب التي فرضها الله تعالى وأوجبها على المسلمين كافة ، وأنزلها في كتابه الكريم ، وأجراها على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام ، فهي ليست آداب الفاطميين فقط ، وليست آداب الشيعة لحسب بل هي آداب الإسلام ، والمؤلف يقتبس من آي الذكر الحكيم ما يستشهد به على هذه الآداب التي يذكرها ، ويأخذ من الأحاديث النبوية الكريمة دليلا على صدق أقواله ، ومهما اختلف المسلمون في هذه الأحاديث أموصوعة هي أم صحيحة ، فإنها تنفق مع دعوة الإسلام ، فقد أريد بها الهداية قبل كل شيء ، ولعل المؤلف قد بلغ ما أراد في قوله في مقدمة هذا الكتاب ، لو أردت أن أقتصر على لفظة واحدة كافية منه لاقتصرت فأمرت بتقوى الله فقيها جماع كل خير الدنيا والآخرة ، (١) وكرر الحث على تقوى الله في كل فصول هذا الكتاب ، ولا سيما في الفصل الذي تحدث فيه عن الجهاد فقال إن حدود الجهاد تقوى الله وطاعة الأئمة وبذل النصيحة والاجتهاد في اجتياح أعداء الله والعمل بطاعة الله وحفظ حدوده (٢) .

== القدير للشوكاني ج ٢ ص ٢٩٧ ، والتهاية لابن الأثير مادة (غم) ، وتفسير أبي السعود ج ٢ ص ٢٣٩ (طبع مصر سنة ١٩١٨)

(١) راجع ص ٢٧

(٢) راجع ص ٦٢

وكتاب المهمة الذي نشره اليوم هو أحد هذه الكتب العديدة التي صنفها القاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربي فقد جاء ذكر هذا الكتاب في كتاب المرشد إلى أدب الاسماعيلية على نحو ما ذكرناه من قبل ، وورد ذكره أيضا منسوباً للقاضي النعمان في المجموعة الخطية التي بين يدي ، وليس لدينا سوى هذين النصين في إثبات ذلك ، فالكتاب نفسه لا يذكر شيئاً عن مؤلفه ولم يرد به إشارة نستعين بها على معرفة المؤلف أو تاريخ تأليفه ، ولم يذكر هذا الكتاب في الكتب الفاطمية الأخرى التي حصلت عليها . وقد نشرنا هذا الكتاب عن نسخة خطية واحدة هي التي استطعنا الحصول عليها — ونحن نعلم أن في مكتبة « مكتب الهند بلندن » نسخة منه ولكننا لم نستطع الحصول على صورتها ، ونعلم أن هناك نسخة ثالثة في مكتبة طاهر سيف الدين المعروف بسلطان البهرة فاتصلنا به ليعيرنا هذه النسخة فوعد مشكوراً بإرسالها ، وانتظرنا الوفاء بهذا الوعد عدة أشهر ، وبخيل لنا أننا سننتظر إلى ما يشاء الله . . فانه حفظه الله لا يزال يعتقد في وجوب السر وإخفاء الكتب عن الباحثين ، ونسى أننا نعيش في القرن العشرين في عصر تقدمت فيه الأبحاث العلمية فامتدت يد العلم إلى الكهوف المظلمة فأضاءتها وإلى كتب الفاطميين فاستخرجتها ، فافائدة السر الذي يدين به بعد أن تقدمت الدراسات الاسماعيلية واتسع مداها واستطاعت مكتبات الجامعات وغير الجامعات من الحصول على عدد كبير من الكتب التي يظن أنها لا تزال مستورة ، بل أخذت المطابع تخرج بعض هذه الكتب إلى جمهور الباحثين والقراء ، وما نحن نخرج سلسلة مخطوطات الفاطميين بعد أن حصلنا على أكثر من خمسين كتاباً من كتبهم المستورة وسنعمل على طبعها ونشرها ؛ ولئمن هو ومن تبعه في ستر ما عندهم فلن يثني ذلك عن مواصلة البحث واستخراج هذه الكتب من مخابها .

وقد نشرنا هذا الكتاب عن نسخة خطية واحدة كما ذكرنا من قبل — وهذه النسخة — في مائة واثنين وتسعين صفحة من القطع الكبير وفي كل صفحة ثمانية عشر سطراً كتبت بخط بين الرقعة والنسخ وقد كثرت فيها الأخطاء النحوية والاملائية وقد ذكرنا على هامش هذه الطبعة رقم صفحات النسخة الخطية حتى يتسنى لمن يعثر على نسخة أخرى مقابلة هذه النسخة .

وجاء في آخر النسخة « تم الكتاب بعون الله وتوفيقه في وقت العشاء سنة

إحدى ومائة بعد الألف الهجرية . كاتبه فقير حقير ذليل حسن بن محمد علي بن محمد سورت . غفر الله ذنوب هذا الساطري . وذنوب قاريه والناظر .

(وبعد) أرجو أن تكون ، سلسلة مخطوطات الفاطميين ، أساساً جديداً لدراسة التشيع عامة وعقيدة الفاطميين خاصة على ضوء البحث العلمي الدقيق دون تعصب لفريق دون فريق أو لرأى دون رأى حتى يستطيع الباحثون أن يظهروا الحقيقة سافرة بعد أن سرت طوال هذه الأجيال . وأن نكون بفشر هذا الكتاب وغيره من سلسلة مخطوطات الفاطميين قد وقفنا إلى سد ثغرة كانت شاغرة في تاريخنا الاسلامي وتاريخ الحركة الفكرية عند المسلمين .

محمد كامل حسين

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

- [١ ب] الحمد لله حمداً يبلغ حق حمده، وغاية مزیده ، وصلى الله على محمد رسوله وعبدہ ، وعلى الأئمة من ذريته الأبرار المصطفين الأخيار . قال الذى عني بتأليف هذا الكتاب : كان السبب الذى دعانى إلى تأليفه ، أن بعض المنعمين على أفادنى كتاباً فى غاية الاختصار يجمع ما فيه قدر خمس ورقات ، ألف فى آداب خدام الملوك وأتباعهم بلفظ موجز مجمل ، وكل أمر يبلغ مختصر ، تجمع الكلمة فيه جماعاً من المقاصد ، وتعبير اللفظة منه عن فنون من القوائد ، فوقفنت منه على آداب جميلة رضية ، وألفاظ مشبعة جزيلة عذبة سنية ، ووددت أن لو كان مؤلفها قصد بها أهلها ، ووضعها مواضعها ، وأنه لو قد كان عرف الحق وأهله وجمع فضل ذلك إلى بلاغته وأدبه . فقلت ذلك النعم على الذى لم أزل أغترف من بحره وأصدر ، وأورد عن نبيه وأمره ، فنبهنى على حرف فى ذلك الكتاب دل على أن مؤلفه كان من أهل الولاية ، وأنه كان مكرهاً مجبوراً على صحبة من صحبه من ملوك الأرض وأهل اغتصابها ، فسكنت إلى ذلك علماً بأن الله لم يمنح مثل تلك الآداب الرضية ، والبلاغة السنية ، إلا ولياً لأولياته متديناً بإمامتهم عارفاً بحقهم ، وفتقلى ما حبانى به المنعم على من ذلك ما أجريت ذكر ذلك فى هذا الكتاب ، فذكرت لذلك قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه : • على
- [١ ٢]

رسول الله صلى الله عليه وآله من العلم والحكمة ألف باب منها يفتح ألف باب ،
وقول جابر الجعفي : « أرفدني وصي الأوصياء — يعني أبا جعفر محمد بن علي
صلوات الله عليه — فعلمني ألف كلمة كل كلمة منها تفتح ألف كلمة » . فهذه
من معجزات أولياء الله وبراهينهم ، وفضلهم على من أودعوه شيئاً من حكمتهم ،
إن القليل من ذلك يهديه ويفتح له كثيراً مما أشكل عليه ، فرأيت صنيع
ما كنت تمنيت لمؤلف ذلك الكتاب أن يصنعه ، وفصل ما كان أولى به عندي
أن يقصده لما اتسع لي ذلك وأمكن بظهور أمر أولياء الله واستحكام
سلطانهم ، وضاق ذلك عليه وتعذر لكونه تحت أمر المتغلبين في أزمانهم ،
فبسطت هذا الكتاب في آداب اتباع الأئمة (صلح) وسميته « كتاب الهمة » .

[٢ ب]

إذ كان القصد بما فيه إلى ما يهم بفعله ؛ والهمة في اللغة ما هممت
به من أمر لتفعله ، ولذلك قيل رجل بعيد الهمة وقصير الهمة ، ومنه سمي
الملك هماماً لعظم همته وبعدها . وقد بسط كثير من المؤلفين كتباً كثيرة
في آداب خدام الملوك ، وذكروا فيها من الأخبار المرفوعة الجارية والآيات
من الشعر المروية السائرة ، ما رأيت ترك ذكره على الجملة في هذا الكتاب
رغبة بالأئمة صلوات الله عليهم أن يذكروا بما ذكر به ملوك الدنيا وأهل
اغتصابها ، وسبق إليه من ألف لهم رغبة فيها وفي حطامها ، وإذا كان من ألف
في هذا المعنى لاتباع ملوك الدنيا إما ليتبغى بذلك نيلهم أولي ذكر به في أيامهم ،
وغرضي فيما أولفه من ابتغاء ثواب الله عز وجل فيما أدعوه إليه من أجل
الأئمة وتوقيرهم وتعظيمهم وتعزيزهم ورعاية حقوقهم وأداء أمانتهم ،
والتأدب بالآداب الصالحة لهم ، على اعتراف مني بالعجز ، وإقرار بالتقصير
عن بلوغ معرفة الواجب لهم ، بل لا أحيط علماً في ذلك بجزء لا يتجزأ منه
ولا احتوى على مثل النقطة من البحر قياساً به ، وكيف أتعاطى علم
واجب من لا أقدر على صفته ، بل لا يستطيع صفة من تولاه وتقرب إلى الله
به ونال ما نال بفضله . كما روينا عن أبي جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه

[٣ ا]

أنه قال لرجل من أوليائه ومواليه في حديث طويل حدثه به في فضل المؤمن حذفت صدره اختصاراً قال فيه : «أولاً ترى يا أبا فلان أنك، فخرط في أمرنا، واعلم أنه لا يقدر أحد على صفة الله جل وعظم عن ذلك تبارك وتعالى ، فكذلك لا يقدر على صفتنا ، وكما لا يقدر على صفتنا فكذلك لا يقدر على صفة المؤمن ، إن المؤمن ليلقى أخاه فيصالحه فلا يزال الله تبارك وتعالى ينظر إليهما والذنوب تنحط^(١) عنهما حتى يفترقا ، فكيف يقدر على صفة من هو كذا ، ثم ذكر باقي الحديث بطوله في فضل المؤمن وقدره عند الله عز وجل . فالأئمة صلوات الله عليهم فوق الخلق بما لا يدرك به علما ، والذي يجب لهم أعظم وأجل من أن يدرك بعلم وعقل ، وإن كان الله عز وجل لا يكلف العباد إلا ما عقلوه وعلموه ، فإنه لم يرض لهم بالجهل بل افترض على من لم يعلم التعلم والسؤال ليرتقوا في الأسباب ، ويتنافسوا في الأحوال ، وما عسى أنه ذكر وألف في تعظيم ملوك الدنيا وآداب أهلها ، فأولياء الله أحق به وهو أقل ما يجب لهم ، وأتباعهم أجدر باستعماله فيهم وفي أنفسهم ، خلا ما جاوز الحق من ذلك وتعداه ، فإنه يرفض من قولهم ، وما كان من أدب صالح وسنة رضية فأهل الحق أحق به منهم وهي ضالتهم عندهم ، ينبغي أخذها منهم ولا يزرى بها عند أهل الحق كونها في أيدي أهل الباطل ، فقد ذكر لي المنعم الذي فتق لي هذا المعنى وفتح لي هذا الباب يوماً ، أن بعض ما أسر إليه سرّاً أفشاه وأذاعه عليه ، وفيه ما يخاف من أجله فأعظم ذلك وقال : لقد أنف أهل البطالة والخلاعة والمجانة من إفشاء السر ونقل النعمة حتى قال : لقد قيل عن بعضهم إنه كان مع جماعة منهم في مجلس باطل وهو شراب فناوله أحدهم غصن نمام حياه به فتشكر عليه وقال هذا فراق بيني وبينك وقام عن المجلس فقام إليه الآخر ، فقال : ولم هذا ياسيدي وجعل يترضاه ويعتذر إليه ، فقال : تحسبني بالنمام كأنك رأيتني من أهل النعمة ،

[٢ ب]

[٤ أ]

(١) في الأصل : تنحط .

ثم قال ومثل هذا يؤخذ وإن كان من مثل هؤلاء يعنى أن الذى يؤخذ منه
 عنهم استعظام هذا الأمر النيمة أن يشار إليه بهذه الإشارة الخفية فضلاً عما
 سواها ، ويلغى ويعرض عن قوله عن سوء الظن بصاحبه إذ كان سوء الظن
 فى الدين منياً عنه . فلما كنت لا أبلغ وإن بالغت فى الإطناب حقيقة ما كان
 ينبغى أن يشتمل عليه هذا الكتاب رجعت فيه إلى الاختصار على التحقيق
 والاختصار . ثم رأيت طبقات اتباع الأئمة يكثر عددها كالأهل والدخلة
 والحشم وخاصة العبيد والإماء والخدم والأقارب وأهل الديانات من الأولياء
 والقضاة والكتاب وذوى الكفايات وأصحاب الدراوين وأهل الأمانات
 والعمال والجبلة والسعاة ورجال الحرب من الأولياء والأنصار وطبقات العبيد
 والأجناد والصناع والباعة والتجار الذين يلون أمورهم ويعملون لهم ، والرعايا
 الذين يتصلون بأسبابهم ، وكل طبقة ممن ذكرت ومن لم أذكر تتفرع على ||
 طبقات ، ويتصرف أمرها على وجوه وجهات ، فلو قصدت لتفريعها وذكر
 ما ينبغى أن يتأدب به كل طبقة منها لطال القول واتسع وتشعب [الموضوع] ^(١)
 وتفرع ، ولكن رأيت أن أجعله [أبواباً] ^(٢) ، يحتاج إلى أكثرها أهل كل
 طبقة لأداء فرضهم ، وبعضها مقصورة على آداب بعضهم ، والله استهدى
 وإياه أستعين وعليه أتوكل . ولم أختصر هذا الكتاب وإن كنت وصفته
 بالاختصار كاختصار الكتاب الذى قدمت ذكره ، ولا أطلته إطالة ما يمل
 قاريه ويتعب كاتبه ، ولكنى قرّبه من الاختصار وأعفيت من التطويل والإكثار
 لأن كل بائن عن شكل الاعتدال خارج عن حد الكمال ، فليس كل الناس يفهم
 المرجز من الكلام ، ولا كثير من يفهم ذلك يتعب ذهنه بالغوص فى تطلب
 معانى دقائق الكلام إن لم يجده بينا معروفاً وظاهراً مكشوفاً ، ولو استغنى
 بشيء من اللفظ عن البيان لاستغنى عنه القرآن ، فقد قال الله وهو أصدق

[٤ ب]

(١) فى الأصل : الموضوع

(٢) فى الأصل : أبواب

الفائلين » وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم^(١) ، فالبيان هو العبارة ،
والحذف والاختصار كالرمز والإشارة ، وقيل ما تكون الفائدة سيما لمن
لم يتسع في العلم فيما لم يوضحه البيان ، ولذلك قال بعض من يعنى بالسكتب ||
[١٥] ما قرأت كتاباً كبيراً قط أو متوسطاً إلا أفدت منه فائدة وما أحصى
ما قرأت من صغار السكتب فلم أفد منها شيئاً . ولا أشك أن فائدة هذا
السكتب المختصر الذى قدمت ذكره لم تكن إلا عن بركة من أفادنيه ، لا عن
مؤلفه ولا ما ألف فيه ، ومن أحسن التطويل والإكثار أحسن لا محالة
الحذف والاختصار ، ولو شئت أن أجعل هذا السكتب في كيفية السكتب
الذى وصفته أو في مقدار نصفه أو في أقل من ذلك لفعلت حتى لو أردت
أن أقصر على لفظة واحدة كافية منه لاقتصرت ، فأمرت بتقوى الله ففىها
جماع كل خير الدنيا والآخرة ، وكذلك لو شئت أن أجعله في الطول كأطول
كتاب جمع لفعلت ، ولكنى توسطت به بين الأمرين ، وجعلت له حالا بين
الحالين ، كما قال بعضهم لشاعر مدحه بشعر فيه مائة بيت شبيه بتسعين بيتاً
ومدحه بعشر أبيات » ما ألقىت معنى لطيفاً ولا قولاً بديعاً إلا شغلت به
تشباب شعرك عن مدحنا ، فمدحه بعد ذلك بمعر شبيه بتسعين بيت منه
ومدحه بباقيه فقال » لا ذا ولا ذاك ولكن أمراً بين أمرين ، فلهذه المعنى ||
[٥ ب] قصدت وعن الاكثار ومطلب الاختصار رغبت ، والله استهدى وإياه استعين
وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل .

(١)

ذكر ما ينبغي لأتباع الأئمة من اعتقاد ولائهم والتدين
بإمامتهم وطاعتهم صلوات الله عليهم

هذا باب ما يلزم جميع العباد ، ولو تفصيلته لخرج عن جد هذا الكتاب
ولاحتاج إلى أفراد كتاب ، ولكني أذكر منه طرفاً ينبغي أن يذكر ، إذ كان
اعتقاد ولاية الأئمة والتدين بإمامتهم وطاعتهم أصل ما يجب أن يبنى عليه هذا
الكتاب وأسه ، وأول ما ينبغي أن يبدأ بذكره فيه ويفتح به . وإذا كان من
عرف حقهم واعتقد إمامتهم رعى من واجبهام وامتل من أمرهم ما يرى أنه
فرض الله عز وجل عليه واجب وحق لازم ، كانت جلالته في صدره
أعظم ، وهيبته في عينه أكبر من هيبة ملوك الدنيا وجلالته في صدور
أتباعهم وأعينهم ، إذ كان الله عز وجل تباركت وتقدس أسماؤه قد فرض
طاعتهم على عباده في كتابه ، وقرنها بطاعته وطاعة رسوله (صلعم) ، فقال
وهو أصدق القائلين « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (١)
فينبغي || لمن خصه الله ومنحه وأنعم عليه بالسكون في جملة من ذكرناه
من طبقات أتباع الأئمة صلوات الله عليهم أن يعتقد إمامتهم ، اعتقاد من يرى
ويعلم أن رضاهم موصول برضاء ربه ، وسخطهم مقرون بسخطه ، فيتحرى
من ذلك ما يرجو به رضاء الله الذي جعل الجنة ثوابه ، ويحتمل ما يوجب
سخطه الذي جعل النار عقابه ، ويندب نفسه فيما يقربه منهم ويزلفه لديهم ،
ويجهد ما فيها وافقهم وطابق هوائهم وأكسبهم رضاهم فيما أحبه وكرهه وسره
وأسخطه ، وليرجع فيما أسخطه من ذلك إلى رياضة نفسه عليه وسياستها فيه ،
حتى يزول سخطه في ذلك إلى الرضا وكرهيته إلى المحبوب ، ويستغفر الله

[١٦]

لما عرض له في ذلك ويعلم أنه ذنب عظيم من الذنوب ، وأن التوبة لا تكون إلا بالإقلاع عنه حتى يرضى ما رضوه ويسخط ما سخطوه ، ويحب ما أحبه ويكره ما كرهوه ، ويعتقد ذلك قولاً وفعلاً ونية وعملاً ولو كان ذلك فيه حتف نفسه واستهلاك أهله وماله وولده ، ويسلم لهم في كل الأمور تسليم مطيع لا تسليم مجبور ، يعلم أنه إن لم يفعل ذلك وخالفه أو شيئاً منه لم يكن مؤمناً لقول الله جل من قائل : فلا وربك لا يؤمنون حتى || يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً^(١) ، فهذا فرض من الله جل ذكره على المؤمنين لرسوله الذي قرن طاعته بطاعته وطاعة الأئمة بطاعته ، وجعلهم الخلف للأمة من بعده صلى الله عليه وعلى الأئمة من ذريته الأبرار المصطفين الأخيار . فعلى هذا الوزن والترتيب يلزم في الفرض الموجب من التعزيز والتوقير والطاعة والنسليم بالنية والقول والعمل والقبول لكل إمام على أهل عصره ما كان يجب منه لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله على أهل زمانه ودهره ، وإن كانت درجة النبوة أعلى وأجل وفوق درجة الإمامة ، وفضل الأنبياء أعظم من فضل الأئمة فإن الطاعة واحدة موصولة قد قرنها الله تعالى بطاعته وهو أعلى وأجل من جميع خلقه ولا يقاس بشيء من عبادته فلم يقبل من مطيع طاعته إلا بطاعة من افترض عليه طاعته من أوليائه ، ولم يدخل في جملة المؤمنين به إلا من سلم لمن أمر بالنسليم إليه من أصفياه . وفيما ذكرناه في هذا الباب ما فيه كفاية لأولى النهى والألباب إذا تدبره من وفق لفهمه حق تدبره إن شاء الله .

[١٧]

(٢)

ذكر وجوب مودة الأئمة

قال الله جل ذكره لمحمد نبيه صلى الله عليه وعلى آله « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ^(١) » فستل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : من هم ؟ فقال : على وفاطمة والحسن والحسين . وقال صلى الله عليه وعلى آله « من أحبهم فقد أحبنى ، ومن أبغضهم فقد أبغضنى ، وقال « لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق » . فكانوا يتمولون ما كنا نعرف المؤمنين من المنافقين على عهد رسول الله (صلح) إلا بمحبة على ومودته وتفضيله ، فنص رسول الله صلى الله عليه وعلى آله على مودته من كان في عصره ، وحض من بمحضته على ذلك اذ سأله عنه ، واقتضى الله عز وجل له ذلك على كافة الناس ، وذلك واجب للأئمة من ذريته في كل عصر وزمان على أهله ، فقد سئل أبو جعفر محمد بن على صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ، فقال : والله هي فريضة من الله واجبة على جميع العباد لمحمد صلى الله عليه وعلى آله فينا أهل بيته ، وقال عليه السلام « من أحبنا حشره الله معنا يوم القيامة » ثم قال وهل الدين إلا الحب . قال الله عز وجل « وحبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم » وقال : « إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » وقال على عليه السلام لبعض شيعته « ألا أخبركم بالحسنة التي من جاء بها آمن من فزع يوم القيامة وبالسيئة التي من جاء بها أكب الله وجهه || في النار . قالوا : بلى يا أمير المؤمنين قال : الحسنة حبنا والسيئة بغضنا . فيدعى لمن عرف الأئمة لإخلاص المحبة لهم واعتقادها لله ولمكانهم منه لا لغرض دنيا ينالها منهم ، فإن

من كانت مودته لشيء زالت وانقطعت مع زواله وانقطاعه ؛ فلتكن مودته لهم عند المنع كمودته لهم عند العطاء ، وفي الضراء بحسبها في السراء ، لأن ما كان لله عز وجل خالصاً من الأعمال لا تغيره صروف الدنيا ولا تنقله من حال إلى حال ، وإنما تنقل وتغير حوادث الدنيا من الأعمال ما كان لها ، قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه . « من أحبنا فليخلص لنا المحبة كما يخلص الذهب الإبريز ، قال علي صلوات الله عليه . « لو ضربت المؤمن على أنفه ما أبغضني أبداً ، ولو صبيت الذهب والفضة على المنافق ما أحبني أبداً ، فمن أحب أولياء الله فليخلص لهم المحبة ، وليعطها حقها فإن حق المحبوب على محبه أن ينصحه ولا يفشه ، ويؤدى إليه الأمانة ولا يخونه ، وينصره ولا يخذله ، ويطيعه ولا يعصيه ، ويحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لها ، ولا يخالف ظاهره باطنه ، ولا سره علانيته ، ولا غيابه مشهده ، هذه حقيقة محبة المتحابين في الدنيا ، فكيف بمن أحب من أحبه الله ، وعلم أن الله يطلع ويعلم ما يسره ويبيده ويظهره ويخفيه ، فحقيق عليه أن يجعل من نفسه على نفسه في محبته رقيباً عليه في علانيته وظاهره ، وخلوانه وسرائره . فاخلصوا أيها المؤمنون لأوليائكم المحبة لنستنجزوا بها من فضل الله فضل ما عنده ، فني ما ذكرت في هذا الباب بلاغ لمن وفق للصواب .

[١٨]

(٣)

ذكر أداء الأمانة للمؤمنين صلوات الله عليهم والنصيحة لهم
والتحذير من خيانتهم وغشهم

قال الله عز وجل : « إن الله يأمركم أن تردوا الأمانات إلى أهلها ^(١) » : وقال « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته ^(٢) » ، وقال : « يا أيها الذين

آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون^(١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ، وقال : « الأمانة مؤداة عليكم ، وقال : « من غشنا فليس منا ، وقال : « دماؤكم وأموالكم حرام ، وقال على (صلح) ، لبعض من أوصاه « أدأ أمانتك ولا تخن من خانك ، . وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه « أدوا الأمانات إلى الأحمر والأسود وإن كان حروريا ، وإن كان شاميا وإن كان أمويا ، وإن كان عدوا ، أدوا الأمانة ولو إلى قاتل الحسين فأمر الله جل ذكره ورسوله والأئمة من أتباع أهل بيته (صلح) وعليهم أجمعين أمراً بجملاً ومفسراً بأداء الأمانة إلى من كانت له من ولى أو عدو مؤلف أو مخالف . وذلك أن حق أداء الأمانة إنما || يلزم المؤمن في نفسه ، وأمانته فيها يرعى ودينه بأدائها يحفظ ، ونفسه بحفظها ينزه ، وإن خانها فأمانته يوتغ ، وعرضه يشين ، ودينه يهتضم ، ومروته يضيع ، ليس لمن اتهمه ولا عليه من ذلك شيء [من أن كان]^(٢) أكثر من ذهاب حطام عاجل إن خانه المؤمن أو توفيره عليه إن هو أداه إليه . لتحقيق على من خاف ربه ونزه نفسه أن يردى أمانته ، وإذا كانت^(٣) الأمانة واجبا أداؤها إلى سائر الناس فحق أمانة الأئمة أوجب ، والأمر بأدائها أكد وخياتهم أغاظ ، والاثم في ذلك أشد ، ألا ترى قول الله جل من قائل : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول^(٤) ، فإن من خان رسول الله (صلح) فقد خان الله كما قال الله جل من قائل : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله^(٥) ، وقال « من يطع الرسول فقد أطاع الله ، وقال : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم^(٦) ، فطاعة أولياء الله ، ومعصيتهم معصية الله ، ومن خانهم فقد خان الله ، ومن وفى لهم فقد وفى

[٨ ب]

(١) الأنا قال ٢٧/٨

(٢) هكذا في الأصل ويستقيم الكلام لو حذف ما بين القوسين

(٤) الأنا قال ٢٧/٨

(٣) في الأصل : كان .

(٦) النساء ٥٩/٤

(٥) الفتح ١٠/٤٨

طاعة الله ، ومن أدى أمانتهم فقد أدى أمانة الله ، وإن كانت الخيانة منها عنها على العموم ، خيانة أولياء الله أعظم جرماً ، وأغلظ إثماً ، ومؤدى || الأمانة إليهم أجزل ثواباً وأجراً ، لأن الله جل ثناؤه لم يضاعف العقوبة لعاصي شيئاً كما ضاعف له الثواب في الطاعة عليه ، قال وهو أصدق الفاتلين : « يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً ومن يقنت منسكناً لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتيها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً ^(١) » . فأما خيانة الأئمة من الكبراء فلأن قتل النفس المؤمنة من الكبراء ، وقتل النبي أعظم من ذلك وأكبر ، والخيانة على الأنبياء والأئمة أغلظ وزراً ، كذلك صليح الخير عندهم أكثر أجراً . وقد نهى رسول الله (صلع) عن ضرب البهائم في غير حق ، وأن تحمل فوق طاقتها وقال : « رأيت صاحبة الكلب في الجنة ، وهي امرأة مرت بكلب يتلظ على برقم تجمد ما تستقي له به ، فربطت خفها بخمارها واستقت له ، فسقته فغفر الله لها بذلك وقال : « رأيت صاحبة الهرة في النار ، وهي امرأة ربطت هرة لها وتركها لا تطعمها ولا تدعها تأكل من [حشائش ^(٢)] الأرض حتى ماتت فعذبها الله بذلك . وقال : « في كل كبد حري رطوبة أجر ، والأجر في صنيع المعروف إلى الإنسان أفضل ، وهو في المؤمن أجل . وكذلك صنيع السوء || في الوزر ، وعلى هذا الوزن ما قدمناه من مقدار ذلك في أولياء الله . فاحفظوا أيها الناس أمانتكم ، ما قل منها وما كثروا وما صغروا وما كبروا ، فإن اسم الخيانة يقع على القليل والكثير منها ، والخيانة في القليل إثم ونذالة ، وهي في الكثير أعظم إثماً وتباعة . واعلموا أن الخيانة لا تكون في المال خاصة فقط ، بل هي في كل أمر من الأمور عامة ، وفي القول والعمل والنية . وهذا الباب يلزم أهل كل طبقة من طبقات أتباع الأئمة (صلع) وغيرهم للأئمة وللمن سواهم لأن أداء الأمانة والنصيحة لازم لكل مسلم . قال رسول الله . « الدين النصيحة لله

ولأوليائه وللمؤمنين ، وليس في ترك النصيحة لله ولأوليائه رخصة ولا عذر لتارك ذلك على حال من الأحوال . قال الله عز وجل . « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون » ^(١) فلم يجعل الله عز وجل لهم في ترك النصيحة رخصة ، كما جعل لهم فيما لا يستطيعونه مما ذكره ، كما لم يجعل أيضاً في اعتقاد المحبة بالقلب رخصة قال الحسين بن علي (صلح) « من أحبنا بقلبه وجاهد معنا || بلسانه ويده فهو معنا في الرفيق الأعلى ، ومن أحبنا بقلبه وذب عنا بلسانه وضعف أن يجاهد معنا ويده فهو معنا في الجنة دون ذلك منزلة ، ومن أحبنا بقلبه وضعف أن يجاهد معنا بلسانه ويده فهو معنا في الجنة دون ذلك ، وليس دون ذلك شيء ، فالنصيحة والأمانة لأولياء الله أقل واجهم ، فن خانهم وغشهم فقد انسلخ من ولايتهم ، فاحذروا عباد الله الغش والخيانة لهم ، فوالله لو لم يرغب الراغب في الأمانة والنصيحة لهم إلا في دوام عاجل نعمة الدنيا وشرف ذكرها وأمن عقربتها ، لكان جديراً بذلك ، فكيف بثواب من الله لا عوض له منه يرجوه ، وعذاب لا عاصم له منه يخافه ، ولقد رأيت كثيراً من أوباش الناس وعوامهم ومن هو أقرب شياً بالبهائم منهم بالناس كالصناع والمضاريين والحمالين يؤدون ما اتهموا عليه ، مع فقر مدقع وحاجة شديدة ، لا دين ولا لمعرفة ولا لاعتقاد ولكن خوفاً من أن يخونوا أو ينكروا ما صار إليهم فيتناذرهم الناس ولا يستعملونهم ، فكيف بمن فيه حشاشة من دين أو أدب ، وله في حظ نفسه حسن نظر ، لا يحذر إن خان سقوط المنزلة ، وانقطاع مادة الخير عنه ، إن لم يكن ممن يرجع || إلى ثواب يرجوه أو عذاب يخافه .

[١٠]

[١٠ ب]

(٤)

ذكر توقيير الأئمة وتعزيرهم وإجلالهم وتعظيمهم صلوات الله عليهم

تعظيم الأئمة صلوات الله عليهم وإجلالهم بما أوجبه الله عز وجل على العباد لهم ، إذ قرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه ، وحرس^(١) عبادته عليهم وأمرهم برد ما اختلفوا فيه إليهم ، فما كان يجب لرسول الله صلح من التعظيم والتعزير والتوقير على أهل عصره ، يجب لكل إمام على أهل دهره إذ كانت طاعتهم مقرونة بطاعته وإن علت منزلة النبي (صلح) وارتفعت درجته لارتفاع درجة الرسالة على درجة الإمامة ، فإن تعظيمهم من تعظيم الله جل وعز الذي أقامهم لخلقهم ، كما كانت طاعتهم موصولة بطاعته ، ولأنه جعلهم القاسمين بأمره والدعاة إليه وأهل الدلالة عليه ، فينبغي لكافة الناس تعظيمهم وإجلالهم في أعينهم وصدورهم والتذلل والتواضع لهم ، ورفعهم في القلوب والأبصار عن أقدار ملوك الدنيا وجبارتها ، وإحلال مهابتهم في النفوس فوق محل سلاطين الدنيا فيها ، واعتقاد ذلك التعظيم والإجلال والهيبة والإكبار لله الواحد القهار || لمكانتهم منه وجلالتهم لديه ؛ وإذا نظر أهل الدنيا إلى ملوكهم بعين تعظيم ما عندهم من حطامها ، وهيبة مخافتهم من سطواتهم فيها ، فلينظر أتباع الأئمة وأولياؤهم إليهم بعيون من يرى عظمة الإمامة فيهم ، ويعرف سيماء الحكمة في وجوههم ، وينظر إلى هيبة سلطان الدين لديهم ، وينزلوهم في قلوبهم بمكانهم من الله ، ويشعروا مخافتهم منه في ترك ما أوجب من تعظيمهم ، ويخافوا تضييع ذلك على أنفسهم ، وليكن نظرهم إليهم نظر فسكرة في ذلك واعتبار ، ورغبة فيه واستبصار ، لا نظر

[١١]

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب حرس .

غفلة وهو ونسيان وسهو ، فمثل ذلك جاء في الحديث المرفوع « إن النظر إلى الإمام عبادة ، والنظر إلى المصحف عبادة » ليس ذلك على نظر السهو والغفلة ولكنه في نظر التدبر والتفكر ، كما أن الناظر في المصحف بلا تدبر لما فيه لا فائدة له في النظر إليه ، قال الله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها »^(١) . وكما جاء في الحديث المأثور « إن قراءة آية في تدبر خير من قيام ليلة ، يعني بقراءة القرآن من غير تدبر . وكما في الحديث في صفة الخوارج « أنهم يقرؤون القرآن فلا يجاوز تراقيهم » ، يعني أنهم يهذونه بالسنتهم ولا يتدبرونه || بقلوبهم ، وهو لا يصل إليها ولا يجاوز تراقيهم ؛ وعلى ذلك ينبغي لمن سمع كلام الأئمة أن يصغى إليه ، وينصت له حتى يستوفيه ثم يتدبره حق تدبره ، إذ كان كلامهم مأخوذاً من كلام النبي صلى الله عليه وآله ، وذلك لأن طاعتهم بطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله موصولة ، فما كان من كلامهم من أمر تلتناه من يسمعه أو ينتهي إليه بالقبول ، وما كان منه من نهى تناهى عنه ذوو النهى والعقول ، وما كان منه من أخبار ميز وانتقد على التحصيل ، فإن تحت كل لفظة من ألفاظهم حكمة ، وفي كل كلمة من كلامهم فائدة ، يهدي الله لعلم ذلك من أحب ، ويمنعه من شاء ، وينبغي لمن غمض ذلك عليه أو لم يتأد حسه إليه ، أو لم يعرف معناه فمر صفحاً عليه أو أنكره أو شيئاً منه أو رأى أنه لا فائدة فيه ولا معنى له أن يعرف أن التقصير من قبله ، والعجز من ذات نفسه ، ويسأل عما جهله من هو في العلم بذلك فوقه فإن لم يجد ذلك أنزله على أحسن المنازل ، واعتقد فيه أفضل الاعتقاد ، وسلك فيه خير السبل ، وسلم لهم فيه ووجهه إلى خير الوجوه عنده .

[١١ ب]

(٥)

ذكر الأمر بالوفاء بعهود الأئمة ورعايتها وتذلل ما أخذ لهم منها

[١٢] قال الله جل ذكره : يا أيها الذين آمنوا أوفوا ۖ بالعقود ، ^(١) وقال تعالى : وأوفوا بالعهد إن العهد كان مشئراً ^(٢) ، وقال تعالى : إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فبيؤتيه أجر أعظيماً ^(٣) ، فعهد الأئمة صلوات الله عليهم هو عهد النبيين وهو عهد الله ، كما كانت طاعتهم مرصولة لا ينبغي قطعها ، فكذلك عهودهم إنما هي على الطاعة ولا ينبغي إلا الوفاء بها ، ولا ينبغي تمتص شيء منها ، ولو أطاع الله فيما يرى مطيع ، وعصى رسوله أو كذبه لم يقبل الله طاعته وعذبه على تكذيب رسوله ومعصيته ، يشهد بذلك قوله جل ثناؤه واصفا لأكرم رسله عن الملحددين المستوجبين لعذابه : ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ، القائلين ما استوجبوا به غضب الله مع إقرارهم بربوبيته بحجدهم نبوة رسوله ، وكذلك يلزم من أقر بالله ورسوله ، ولم يعترف بإمامة أولياء الله وأوصيائه رسوله ولو عبد الله على ذلك أيام حياته وطول مدته ، لكان ممن قال الله جل ذكره : وقد منّا إلى ما عملوا من عمل [ص ١٢ ب ^(٤)

[١٣] ۖ فجعلناه هباء منثوراً ، ^(٥) وكذلك هو إن أطاع الله ورسوله بزعمه ، وعصى إمامه أو كذب به فهو آثم في معصيته غير مقبولة منه طاعة الله وطاعة رسوله ولا عمله مع جحده إمامه ومعصيته ، إذ كان الله عز وجل جمع تلك الطاعات ، وافترضها ووصلها فلم يقطعها ، وجمعها فلم يفرق بينها ، فمن وفى لله بهده ورسوله وأوليائه فهو ممن قال الله تعالى : فسيؤتيه أجراً

(١) سورة المائدة ١/٥ (٢) الإسراء ٣٤/١٧ (٣) الفتح ١٠/٤٨
(٤) في الأصل يياض مقدار صفحة بأكملها (٥) سورة الفرقان ٢٣/٢٥

عظيما ، فالأجر العظيم الجنة ؛ ومن نقض عهد الله من بعد ميثاقه وقطع ما أمر الله به أن يوصل فهو من الخاسرين الذين وصفهم الله عز وجل في كتابه « وهم الذين خسروا الدنيا والآخرة ، خسروا رضاه الأئمة عنهم في الدنيا ، ورضاه الله عنهم في الآخرة ، وصاروا إلى عذابه ، لقطعهم هذه الطاعة التي أمر الله عز وجل بها أن توصل ؛ فبالوفاء بعهد الله وعهد أنبيائه وأوليائه وطاعتهم استحق المؤمنون اسم الإيمان ، واستوجبوا ثواب ربهم الذي وعدهم إياه في كتابه ؛ وبنكث عهدهم ونقضه واطراحه استحق الناكثون عذاب الله وخسروا رحمته ، فالوفاء الوفاء أيها || المؤمنون بعهودكم ، والحفظ الحفظ لأمانتكم ، فإنكم قد عاهدتم الله ربكم ، فأعطيتهموه صفقة إيمانكم على الوفاء بما عاهدتموه ، وألزمتم أنفسكم من الشرائط والإيمان والمواثيق على ذلك ما قد عرفتموه ، والرغبة الرغبة في ثواب رب العالمين ، والحذر الحذر أن تكونوا من الخاسرين ، وفكروا فيما عاهدتم الله عليه وفيما ألزمتم أنفسكم إياه وأعطيتم صفقة إيمانكم فيه ، وأرعوه حق الرعاية ، وأدوا إلى الله وإلى أوليائه فيه الأمانة ، فإنه عز وجل يقول « قد أفلح المؤمنون ، إلى قوله » والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ^(١) . فبالوفاء بالعهد وحفظ الأمانات نزل المؤمنون منازل الجنات ، وبنقضها والخيانة حل ^(٢) أهل الشقوة أسوأ المحلات ، ولو لم يكن ما تستخرجون ^(٣) له في خلاف ما عاهدتم الله عليه إلا الخنث فيما ألزمتموه ^(٤) أنفسكم من الإيمان المحرجة المشددة والعهود المغلظة المؤكدة ، وقد ترون من الناس كثيرا ممن لا كثير ورع له ولا عظيم أمانة فيه يحفظون إيمانهم كما || أمر الله عز وجل بحفظ الإيمان في كتابه ؛ فإن حنث أحدهم في الشيء منها كفر

[١٣ ب]

[١٤ ا]

(١) المؤمنون ٨/٢٣ و ١٠ و ١١
(٢) في الأصل : محل
(٣) هكذا في الأصل ورجح أنها : تستخرجون
(٤) في الأصل : ألزمتموه

بما يجب ، ويلزم الكفارة فيه عنها ، وأمضى مالا كفارة فيه على ما قد كان حلف به عليه ، فقد طوqتم أعناقكم ما لا تطيقون إن حنثتم فيه ، وما لا كفارة له إلا الوفاء بما حلفتم به عليه مع تغليظ ذلك وتأكيده وتعظيمه وتشديده ، فاتقوا الله [إذ تلقوه] ^(١) بإيمانكم حائثين ولعهوده وموائيقه ناقضين ، ولحدوده متعدين ، ولأمره مخالفين ، ولنهيه مرتكبين ، فقد حرم عليكم بنقضكم العهود وحنثكم في الإيمان ما كان الله عز وجل أحله لكم من النكاح والمكاسب والمطاعم والملابس والمشارب ، ولزمتكم صدقات أمرالكم ، وعتق رقيقكم ، وما أوجبتموه من النذور على أنفسكم ، فإن لم تفوا بذلك إرتكبتم الحرام ، وانغمستم وارتطمتم في الخطايا والآثام ، أعادنا الله وإياكم من ذلك أجمعين ، وأدخلنا في جملة عباده المؤمنين ، الذين يوفون بعهده ولا ينقضون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .

واعلموا رحمكم الله أن رعاية الحدود والوفاء بأمانة الموائيق والعقود لا يكون إلا بعد علم بما أخذت عليه || وعقدت فيه ، وحفظه والقيام بواجب [١٤] فرضه ، فأعرفوا ما عاهدتم الله عليه وما ألزمت أنفسكم إياه له ولأوليائه ، وما قيل لكم في ذلك وما أخذ عليكم فيه ، ولا يكن مر بكم يومئذ صفحاً فليستموه ، أو تكونوا قد عرفتموه فهاوتم وضيعتموه ، فمن يكن ضيع ذلك بعد أن أخذ عليه وعلم ما ضيع منه فليتلاف نفسه فيه بالتوبة بما ضيع والرجوع إلى حفظ ما استودع ، فمن نسي ذلك أو شيئاً منه ، فليستأنف أمره وليسأل تجديد الأخذ عليه ، ليرجع بالاعتراف والتوبة إلى الله ، وإلى وليه فيه ، ولا يتماذى على السهر والتغفل فيلتي الله ناسياً لآياته ، مضيعاً لعهده قد نبذه وراء ظهره ، فيكون عند الله أخزى وأشقى ممن لم يجد له عهداً ، إذ كان المضيع للأمانة أسوأ حالاً ممن لا أمانة في يديه ، والحجة على من علم أكد منها على من لا علم لديه ، وإن كان الفرض على من جهل السؤال وعلى من ضل

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب أن لا تلقوه

طلب الهداية عند الضلالة ، وقد جعل الله عز وجل المنافقين في الدرك الأسفل من النار فهم فيها أشد عذاباً وأسوأ حالاً من الكفار لأنهم علموا ثم أنكروا والكفار أصرروا على الكفر لما كفروا ، فكل في عذاب الله || ووثاقه ، والمنافق أشد عذاباً لنفاقه ، وكذلك من نقض العهد أو نسيه هو أسوأ حالاً ممن لم يؤخذ عليه وكلاهما لا خير فيه .

[١٥]

(٦)

ذكر ما ينبغي لأتباع الأئمة صلوات الله عليهم من أفعالهم
بما فيهم ومسؤولهم والاستغفار لهم

قال الله عز وجل : ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ، وقال في المنافقين : وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيهم يصدوت وهم مستكبرون ^(١) فأخبر جل ثناؤه أن مغفرته لمن ظلم نفسه لا تكون إلا من قبل أوليائه إذ هم أبواب رحمته لخلقه وأسباب مغفرته لعباده ، ومن استشفع بهم شفع ومن استرحم بهم رحم ومن توسل بهم وصل ، والذي جعل الله عز وجل من ذلك لرسوله صلى الله عليه وعلى آله فهو لمن وصل طاعته بطاعته من الأئمة من أهل بيته ، ولو لم يكن ذلك لانقطعت رحمة الله عز وجل عن عباده وارتفعت مغفرته لخلقه ، وسدت أبواب التوبة دونهم ، وعدموا عفوه عنهم ، كلا إن الله جل ثناؤه لم يخل أرضه من حجة على عباده ، ومفزع وملاذ لخلقه ، وباب لرحمته ودليل عليه لبريته || رافة منه لعباده لئلا يكون عليه حجة لأحد من خلقه أن يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ولم نجد لما جهلناه من عليم به ولا خير ولا مفزع نلجأ إليه

[ب]

في استغفار ذنوبنا، كما ذكر الله عز وجل في كتابه لما قبض الرسول فقد أخبرهم عز وجل في التنزيل أنه وصل طاعته وطاعة رسوله بطاعة أولى الأمر من بعده وفي أمره^(١) إياهم بطاعتهم وتسميته إياهم دليل على تعبدكم بطاعتهم ورد الأمور كلها إليهم والنسليم فيها لهم ، فيذبحني لاتباع الأئمة أن يعلموا أن الله عز وجل جعلهم لهم أبواباً لرحمته وأسباباً لمغفرته فمن خالف شيئاً مما عاهدكم عليه أو ضيع أمراً تقدموا إليه أو اقترب شيئاً أشفق منه فعليه أن يأتهم ويرفع ذلك من أمره إليهم تائباً متصلاً بما صار إليه ، مستغفراً من ذنوبه فيه ، مستشفعاً إلى الله بإمام دهره من ذنبه ، كما أمر الله عز وجل في كتابه ودعا إليه عباده ، ولا يصر على ذنوبه وخطاياهم ونسيانهم ، ويتمادي على اقترافه وموبقاته غير تائب منها ولا مقلع عنها فإن الله عز وجل قال في كتابه « يحب التوابين ويحب المتطهرين » ويكره أن يؤتى من غير جهات أبوابه || أو يتسبب إليه إلا من أسبابه . قال الصادق جعفر ابن محمد صلوات الله عليه : « نحن أبواب الله وأسبابه لعباده ، ومن تقرب منا قرب ، ومن استشفع بنا شفع ، ومن استرحم بنا رحم ، ومن أعرض عنا ضل » وقد جاء عن بعض أهل بيت رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله قول رفعه إلى علي عليه السلام أنه قال: يذبحني لكل من عرف إمامه أن يخبره بما فيه ويطلعه على ما لديه ، وعلى ما يحسنه ويقوم به ليستعمله فيما يرى استعماله له مما يرى أنه ينهض به ويستطيع به . وهذا عندي وجه حسن يذبحني لاتباع الأئمة أن يفعلوه ، بعد أن يصدقوا في قولهم ولا يكتموا شيئاً يعلمون من أنفسهم ، ولا يكن مرادهم بذلك استشرافاً بها للعمل ، ولا طلباً للرياسة ، بل يكون قصدهم بذلك وجه الله الكريم وابتغاء ثوابه العظيم في أداء الأمانة إلى أئمتهم والوفاء بعهدهم ، وانها ما يرون أنه من النصيحة لهم كما أخذ لهم في ذلك عليهم ، فإن من علم من نفسه ما يرى أن

[١٦]

إمامه إذا رأى استعماله فيه عاد ذلك بالصلاح في أموره فكتم ذلك وطواه عنه فهي خيانة خانها ونصيحة لله ولرسوله ولوليه أخفاها ، وإذا أنهى ذلك || على العدل والصدق وسلك فيه سبيل النصيحة والحق فالخيار بعد ذلك فيه إلى إمامه وعليه السمع والطاعة لما يأمر به ، والتصرف فيما صرفه فيه والمصير إلى ما أصاره إليه علم ذلك أو جهاله ، أو كان عند نفسه مستضعفاً به أو ضعيفاً عليه ، فإن الله عز اسمه يؤيد من أقاموه ، ويوفق من نصبره إذا تولى ما ولوه بنصيحة ونية وإخلاص ضمير وصفاء طوية ، فوالله أحلف صادقاً لقد أمرت غير مرة بأمر ما أحسن^(١) ولا أرى أنني أستطيع شيئاً منه ولا أقوم به ، فما هو إلا أن أخذت فيه فقويت ، فأعنت عليه وجئت به على ما أريد منه ، فعلبت أن الله جل ذكره يبلغ أوليائه ما أملوه ، ويتم لهم ما أرادوه ، فإيما الناس لهم بمنزلة الأدوات التي تعمل بذواتها فإذا استعملت عملت دقائق الأعمال وجلالاتها ، ولقد عهدت بعض المؤمنين وقد ندبه بعض الأئمة إلى عمل فسارع إليه ، وهو عندي وعند من يعرفه لا يحسنه ولا يقوم بشيء منه ، وكنت خاصاً به ، فذكر لي أمره بعض من أغتم بما أضيف إليه ، وخشى التضييع والتقصير عليه ، وحركني غلى ذكر ما يخاف من ذلك عليه له || أن يستعفى من ذلك ، فلقية فيه فقال : والله إنني لعل ما ذكرت ، ما أحسن ما نددت إليه قبل هذا ، ولسكني أعلم إذ ندبني إليه ولي الله أني أقوم إليه وأحسنه ، والله لو دفع إلى ذهباً أو فضة وقال خذ هذا فصنع منه كذا وكذا لأخذت ما دفعه إلى وتناولت العمل على علم مني ويتمين ونية أن الله تعالى يهديني إلى ما أرادته الإمام ويوفقني إلى أن أعمل له من ذلك العمل ما أرادته وانتهى فيه محبوه ، وأبلغ منه أمله ، ورأيت يقينا عظيماً ونية صادقة ، وعلمت أن تخلفه عما ندب إليه يقرب من تخلفه من عمل الصياغة التي ضرب المثل به ، ولم أر لمراجعته وجهها ، فانصرفت عنه وغدوت من غد إليه فأصبت قد اعتل

[١٦ ب]

[١٧ ا]

(١) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب بأمر ما لا أحسنه

بعلة ظاهرة ثقيلة أقامت عليه إلى أن بعث إلى المكان الذي ندب إليه غيره ،
ثم أفاق فعلمت أن الله صرف ما كنت خشيتة عليه لجليل اعتقاده وحسن نيته ،
فأقول ما يسمع في ذلك من ندب الإمام أو من قام بأمره وليا من أوليائه إلى
أمر من أموره ، أن يطلعه على ما فيه ، ويخبره بلسان الصدق بما عنده ولديه من
كناية في ذلك أو عجز || أو تقصير عنه ، فما رآه بعد ذلك سلم إليه فيه وسارع
إلى ما يأمر به ، فإننا لا نقول ما قاله الغلاة الضالون المبطون الصادون عن
أولياء الله الدافعون لإمامتهم الزاعمون أنهم يعلمون غيب الله وما تخفى صدور
عباده تعالى الله الذي تفرد بعلم ذلك دون خلقه ، ولم يطلع على ما شاء منه
إلا من ارتضى من رسله ؛ قال جل ثناؤه : « قل لا يعلم من في السموات
والأرض الغيب إلا الله ، وقال لنبيه صلى الله عليه وعلى آله : « قل لا أملك
لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من
الخير وما مسنى السوء ، وإنما أراد هؤلاء الفسقة بما نسبوه إلى الأئمة صلوات
الله عليهم من ذلك دفع إمامتهم لأنهم لما زعموا أن الأئمة يعلمون الغيب
والناس يرونهم لا يعلمون ذلك بما يشاهدون منهم من سؤالهم واستخبارهم
عما غاب عنهم وأنهم لا يعلمون من أمور الناس إلا ما ظهر منها لهم ، لم يكونوا
أئمة عند أولئك الفسقة ، ولا عند من قبل منهم إذ لم تكن تلك الصفة التي
وصفوها بها منهم . وأكثر ما نقر في الأئمة صلوات الله عليهم في مثل
هذا أنهم يعلمون || ما غاب عن الخلق سواهم من العلوم ، وينظرون بنور
الله جل ذكره ، وأنه يمدح بتوقيفه ويهديهم بهدائته ، ويطلعهم على ما سألوه
أن يطلعهم عليه بلطف تدبيره وحكمته ونضاه عليهم ونعمته ، كما جاء عن
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله « إن المؤمن ينظر بنور الله ، وهو الإمام
صلوات الله عليه ، فإن قال قائل إن ذلك لكل مؤمن ، فنظر الإمام بعد رسول
الله (صلعم) أفضل لأنه فوق جميع المؤمنين ، وقد جاء عن جعفر بن محمد
صلوات الله عليه أنه سئل عن قول الله عز وجل « إن في ذلك لآيات

[١٧ ب]

[١٨ أ]

للمتوسمين ، فنال : نحن المتوسمون ننظر بنور الله إلى عباده ، فاحذروا فراستنا فيكم ، وأشبه هذا بما قد يجري مجراه ، يطول به الكتاب إن ذكرناه .

(٧)

ذكر ما ينبغي من افتقار من سمته دعوة الإمام على ما قبل لهم

وعرفوه دونه أنه يتعاملوا أو ينكفوا ما لم يؤذن لهم فيه

هذا باب لو تقصينا وذكرونا ما ينبغي أن يدخل فيه لطال القول به ، وخرج عن حد هذا الكتاب وفيما نذكر منه إن شاء الله كفاية لأولى الألباب . ينبغي لمن أخذ عليه || ميثاق الأئمة صلوات الله عليهم أن يفي به ويرعاه كما قدمنا ذكر ذلك ، ولا يخالف شيئاً مما أمر به فيه ولا يتعداه ، ولا يغلو ولا يقصر ، ولا يتعدى شيئاً مما أمر به ، ولا يتأول فيما سمعه ويسمعه من أولياء الله برأيه ولا يقول فيه بهواه ، ولا يحدث نفسه بذلك ولا يميل إليه بخواطره ، وليكن كما قال مولانا جعفر صلوات الله عليه لبعض أوليائه « كنوا لنا دعاة صامتين ، فقليل له : كيف ندعوا جعلنا الله فداك ونحن صموت ؟ فقال « بأعمالكم ، وذكر كلاماً طويلاً يعض فيه على أعمال البر ثم قال : « فإذا رأيتم الناس على مثل هذه الأحوال علموا إنما دعوناكم إلى خير ، فسارعوا إلينا فكنتم دعائهم ، فهكذا ينبغي لمن يقلد أمر أولياء الله أن يلزم الخير ويعمل به ، ويحتلب الشر ويحذره ، ويعمل بطاعة الله وبفروضه ويحتلب معاصيه وما أسخطه ، ويدع المراء والجدال في الدين حتى يطلق له في ذلك ويؤذن له ذلك من إليه الإطلاق من بعد أن يراه أهلاً له ويرتضيه ، فرب مجادل لا يقوم بما يتقلده يكون فتنة لمن هو ألحن بالحجة منه إذا || جادله فقطعه ، ولذلك أمر أولياء الله بالصمت ، وتعبد الله به أوليائهم ، ولم يأذنوا في الكلام إلا لمن ارتضوه ، وأطلقوا ذلك له ، وقال بعضهم لمن قد أذن

[١٨ ب]

[١٩ أ]

له فيه ، متى ناظره من تر أنه ألحن بالحجة منك فاستتر بالباطن ، يعنى عليه السلام أن يقطع كلامه ، ويومئ إلى أن فى ذلك باطنا لا يتبأ له ذكره ، ولا يتبادى فى الكلام إلى أن يظهر عليه مخاصمه ، فيكون ذلك فتنة له وداعيا إلى الإصرار على ما هو عليه ، ولكن يبقيه على شبهة من أمره إن كان قد وجل فى مناظرته ، وإن علم أنه ألحن منه قبل المناظرة لم يناظره واستتر كذلك بالباطن منه ما أمكنه ، لأن احتجاج المبطلين ربما شهوا به وخيلوا للسامعين أنه الحق ، كما خيل السحرة لموسى بحبالهم وعصيم ما خيلوه حتى أوجس فى نفسه منه خيفة موسى ، وإن كان الحق بعد ذلك يدمغ الباطل ويأتى عليه ، ولذلك أمر بالصمت والكتمان ، وقال جعفر بن محمد (صلعم) لبعض شيعته وقد عرضوا أنفسهم للقيام معه فقال : « سألناكم ما هو أيسر من هذا فلم تفعلوا ، | قالوا : وما هو يا ابن رسول الله (صلعم) ؟ قال : « قلنا لكم اسكتوا فإنكم إن سكتتم رضىنا فلم تفعلوا ، ولشيت أمر أولياء الله حدود وشرائط وآداب ودرجات يرتقى فيها الداخل فى ذلك ، فإذا لم يقف على ذلك أولا فأولا ويرتقيه درجة درجة ووصل إليه منه الشئ قبل وصول ما يجب أن يصل إليه قبله هلك ، كما أن الطفل لو حمل عليه الطعام فى حين ولادته هلك ، ولهذا نظائر وأمثال يطول بها الكتاب ، ولذلك كان علم أولياء الله غير مطلق إلا لمن أطلقوه له لأنه لو كان مطلقا لأهلك بعض الناس به بعضا كما يهلك الطفل لو حمل عليه الطعام فى حين ولادته ، والجنين لو استخرج قبل أن يلى إلى حد التمام ، فهذا ولامتحان العباد أسر أولياء الله ذلك وأخفوه ، ولو نشره وأظهره على حقيقة الواجب فيه لما تخلف أحد عنه ، ولكن الله عز وجل تعبد عباد بالآيمان بالغيب فقال جل من قائل : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ، ^(١) إلى قوله « أولئك هم المفلحون ، . ولو شاء عز وجل ||

[١٩ ب]

[٢٠ أ]

لجبل العباد على الطاعة ، أو لأمر منادياً ينادى من سمائه بمراده ، ولم يبعث من رسله إلى عباده من بعث ، ولو فعل ذلك لبطل التفضيل وزالت المحنة ، ولم يكن ثواب ولا عقاب ولكان الناس كلهم أمة واحدة ، ولاستووا في النعم والعلم والفضل والله أعلم بما أراد وأوليائه الذين أطلعهم على ما شاء من غيبه ، لا إله إلا هو وحده لا شريك له .

(٨)

ذكر الصبر على نوائب الأئمة صلوات الله عليهم

واسكر لما أولوه من مزيل النعمة

الصبر والشكر خلتان من خلال العبادة ، فمن صبر على طاعة الله وطاعة أوليائه التي افترضها لهم على عباده وعول في السراء والضراء عليهم واحتمل الأذى لله ولهم كان من الصابرين الذين وصف الله عز وجل ثوابهم في كتابه فقال : إنما يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب ^(٢) ، وقد ذكر الله تعالى ثواب الصابرين في غير موضع من كتابه وأثنى عليهم فيه فوصف ما أعد لهم من ثوابه ، وبالصبر عن المماصى والصبر على الطاعة نال الصابرون ثواب ربهم وأفضوا إلى كرامته وحلوا || قرار جنته (فاصبروا أيها المؤمنون ولا أنفضوا إلى كرامة إلى أنفسكم عن المماصى ^(٣)) واصبروها على الطاعات وأدبوا أنفسكم بالصبر على نوائب أئمتكم ولا تسأموها وسارعوا إليها ولا تملوها فإنها عبادة تعبدكم الله بها فيجزى منكم العاملين ويثيب الصابرين . وبالصبر على نوائب أولياء الله قامت حدوده في أرضه وظهر فيها حقه وأمره ودان من دان فيها بطاعته . فالصابرون لأمر أولياء الله القائمون بنوائبهم المسارعون

[٢٠ ب]

(١) سورة الزمر ٢٩/١٠

(٢) هكذا في الأصل والنس مضطرب غير مفهوم .

إلى أمرهم فيما أرادوهم له وندبوهم إليه واستعملوهم له وصرفوهم فيه هم المطيعون لله القائمون بنوائب الله الحافظون لحدود الله المجاهدون في سبيل الله والمقيمون لأحكام الله الظافرون بالرحمة والثواب وطوبى لهم وحسن مآب . ولو لم يصبر العباد على فرائض الله ويقوموا بنوائب أولياء الله وتواكلوا وتحاذلوا في دين الله لحلوا محل شقواتهم وويلهم ولتخطفهم الناس من بين أيديهم ومن خلفهم ولا كل القوى الضعيف واضطهد الشريف عند نفسه المشروف ، نعوذ بالله من البلاء والخذلان || ومن الفشل في الدين المحل بأهل البأس والهوان .

[٢١ أ]

وأما الشكر فبه تدوم النعم ، ويرجى المزيد للشاكرين ، وبتركة دخل التاركون له في جملة الكافرين . قال الله عز وجل وهو أصدق التماثلين « إئن شكرتم لأزيدنكم وإئن كفرتم إئن عذابى لشديد » ^(١) وقال رسول الله (صلع) « من أسدى إليه معروف فليكا فيء عليه ، فإن لم يجد مكافأة فليشكر ، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة » ولم يرض الله عز وجل من عباده فيما أنعم به عليهم بشكر النعمة له وحده تعالى وتقدسست أسماؤه لا شريك له حتى أوجب عليهم شكر من أجرى نعمته لهم على يديه من خلقه فقال « أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير » ^(٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله « يقول الله جل ثناؤه يوم القيامة لبعض من لم يشكر المعروف لمن صنعه إليه ، صنع بك عبدى فلان فلم تشكر له وكفرته ، فيقول يارب عالمت أن ذلك منك فشكرتك ، فيقول معروفاً الله عز وجل : كلاً لم تشكر لى إذ لم تشكر من سببت لك ذلك على يديه » . فإذا كان شكر تربية الوالدين ، وشكر نعم الناس بعضهم على بعض فرضاً وتركة كفراً ، فكيف بشكر الأئمة صلوات الله عليهم || على ما لا يحصى من نعمهم ، أما وليم فقد أحيوه من موت الجهل بالحكمة ، وبصروه بعد عمى الجهل واستخرجوه إلى النور من الظلمة وهدوه من الضلالة وعلموه من بعد الجهالة واستنقذوه من النار ، وأحلوه محل الأبرار ،

[٢١ ب]

وأنعموا عليه بنعم لا تحصى ، وجمعوا له من خير الآخرة وخير الدنيا . وأما من اتبعهم لطلب دنياه فقد بلغ من الخير فيما عندهم مداه ، ونال من فضلهم أضعاف ما يوجب له لهم ما تولد هذا إن نصح لهم فيما استعملوه فيه وقام بواجب ما كلفوه وأخذ أجرهم عليه ؛ وإن غش واقتطع وخان وأكل وهو يسرح في نعمهم ويرتع في أموالهم ويتقلب في معروفهم وأفضالهم آمناً من عقوبتهم ووادعا في سلطانهم فالحجة له ألزم وعليه أكد نعوذ بالله من حال من هذه حاله ، والشكر أوجب عليه وتلا في نفسه بالتوبة والإجابة إلى النصح والإصابة أولى به ؛ وأما من شمله سلطانهم من رعاياهم ، ومن حوته مملكتهم من قرب أو بعد منهم ، فقد غمرهم فضلهم وإحسانهم من حيث يرون ويصرون ، ومن حيث يجهلون ولا يعلمون ، فمن ذلك أنهم يمسون ويصبجون في أسرارهم وادعين || آمين قد كفوا عنهم أيدي المعتدين وحمومهم من تطاول المفسدين ودافعوا عنهم الأعداء المتطاولين بمهج أنفسهم وما خولهم الله من أموالهم على تخلف أكثر الناس عن الجهاد معهم كما افترضه الله عز وجل عليهم بأموالهم وأنفسهم ، ومنعهم الواجب في أموالهم أن يدفعوه كما افترض الله عليهم من أموالهم ، مع سؤال من جاهد معهم العطاء لهم وإقامتهم ذلك لهم ، فمن شاء أن يعرف قدر نعمتهم عليه فلي نظر إلى ما هو فيه من نعمة الله عنده من أهل ومال ، ولي نظر إلى من هو أشد منه قوة وأطول يداً وأحصى جانباً وأمنع منعة ليس في يديه جزم مما خول الله تعالى هذا من نعمه ، ولا له ورع ولا دين يحجزانه عن اختطاف ذلك من يديه ، والتغلب بالقوة والقدرة فيه عليه ، وأنه لا يمنعه من ذلك إلا سلطان أولياء الله وخوف انتقامهم منه ، واجتياحه من جديد الأرض إن فعله ، فذلك ما غل أيدي مثل هؤلاء عمن لا يستطيع دفعهم عن نفسه في الحاضر والبادي والسبيل وبكل موضع ، وهم أكثر الناس وأهل الشدة والبأس ؛ فلو لا خوفهم أولياء الله على أنفسهم لاجتاحوا من قدروا عليه من أخذهم ولا كلوا أموالهم || وارتكبوا حرمهم

[٢٢]

[٢٢ ب]

ولاجتاحت بعضهم بمضاً ولأهلك الضعيف القوي واستباح الفقير الغني ؛ ثم [عاد] ^(١) كذلك بعضهم على بعض حتى يهلك الحرث والنسل ، ولكن الله عز وجل ذكره جعل أوليائه سبباً لحياة خلقه وبقائه ما أنعم به عليهم من نعمته وأوجب شكره على ذلك وشكر من سببه على يديه كما تقدم ذكرنا له ؛ وبهذه النعمة التي أوجب الله عز وجل شكرها عمرت الأرض وعاش فيها أهلها ولولا ذلك لذهبت الأنفس والأموال وتغيرت الأمور واستحالت الأحوال ؛ وهذا باب لا يتعاطى بلوغ حقيقة ما يوجبه إذ كان ما ينبغي أن يدخل فيه وما يوجبه ويقتضيه هي نعم الله على خلقه التي أجراها على أيدي أوليائه وهو يقول جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ^(٢) وإنما شرطنا أن نذكر طرفاً من كل فن في هذا الكتاب وجعلاً وعيوناً من كل باب ؛ وفيما ذكرناه بلاغ لذوى الآلئاب والله ولي التوفيق .

(٩)

ذكر ما يجب لأولياء الله على عباده من الجهاد معهم في سبيل

[٢٣]

قال الله عز وجل « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً ... إلى قوله : « وبشر المؤمنين ^(٣) » . وقوله تباركت أسماؤه « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ^(٤) » . إلى آخر السورة . وقال الله عز وجل : « وإن طائفتان من المؤمنين اقاتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » ^(٥) . وقال رسول الله صلى الله

(١) هكذا في الأصل ولعل الأصوب « عدا » .

(٢) سورة إبراهيم ١٤/٣٤ ، (٣) سورة التوبة ٩/١١١ .

(٤) سورة الصف ٤١/١٠ ، (٥) سورة الحجرات ٤٩/٥١ .

صلى الله عليه وعلى آله « أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله الجهاد في سبيله » ،
وقال : « أجود الناس من جاد بنفسه في سبيل الله » . فالجهاد في سبيل الله
مع أولياء الله ومن أقاموه من عباده على من عند عليهم من مسلم أو كافر
فرض من الله في أرضه بين عباده . فالجهاد الجهاد عباد الله مع أوليائه في سبيله
بأموالكم وأنفسكم كما افترض الله في كتابه عليكم ، فأنتم حسنات المجاهدين من
قبلكم ، فاجهدوا أنفسكم في أن تكون لكم حسنات من المؤمنين من بعدكم .
لأن من جاهد في سبيل الله فاستخرج مشركاً من شركه || إلى الإسلام أو باغياً
من بغيه إلى العدل والإيمان طائئراً بالإجابة أو كرهاً^(١) بالأسر ثم من الله
عليه أو على عقبه بالإيمان فهو ونسله وما تناسل منهم حسنات لمن كان سبب
ذلك لهم ، وله مثل أجر أعمالهم من غير نقص من أجورهم ، وحقيق على الله
ألا يدخل محسناً منهم الجنة ويقصر بمن كان سببه إليها دونها ما لم يأت من
الذنوب ما تحرم به الجنة عليه ، وفي مثل هذا قال [أبو جعفر محمد بن علي]^(٢)
صلوات الله عليه لرجل قد قال له : « يا بن رسول الله إن الناس يمدون في
أنفسهم من قرأكم أنكم مواليهم . فقال عليه السلام : الناس ثلاثة أصناف ،
فصنف دعونه إلى الله ورسوله فأجابنا فنة الله ومنه رسوله ومننا عليه ،
وصنف دافعنا فقتلنا ، وصنف من الله عليهم ورسوله عام الفتح ، فمن أى
صنف من هذه الأصناف شاء أن يكون هذا الثمائل فليكن فندنا عليه ونحن
مواليه . فالائمة صلوات الله عليهم هم أسباب رحمة الله لخلقهم ونعمته عليهم
بدعوتهم إياهم إليه بالجهاد في سبيل الله والدعاء إليه وهم الذين || استنقذوهم^(٣)
من الكفر إلى الإسلام ، ومن البغي والشرك إلى التوحيد والإيمان ، فهم
حسناتهم وعقائدهم ومن أعان أولياء الله في ذلك وظاهرهم عليه وتولاهم واتبعهم
فيه ، فهو منهم لقول الله عز وجل حكاية عن خليله إبراهيم « فمن تبعني فإنه مني

[٢٣ ب]

[٢٥ ا]

(١) في الاصل — كرومها (٢) في الاصل أبو جعفر بن محمد بن علي

(٣) صفحة ٢٤ ا ونصف ٢٤ ب ياض في الاصل

ومن عصائي فإنك غفور رحيم^(١) ، ॥ وقوله تبارك وتعالى : ومن يتولاهم منهم فإنه منهم^(٢) ، فالمجاهدون كما أمرهم الله عز وجل بأموالهم وأنفسهم في سبيل ربهم داخلون في سعة هذا الفضل الذي لا يقصر عن أهل الدنيا لو دخلوا فيه بل يسعهم منه ما يتقصر آمالهم دونه ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله لعبد الله بن رواحة وقد تخلف عن بعث بعثه فغدوا متوجهين : لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم ، فأى فضل يكون أعد أعظم من فضل لا يدرك بجميع ما في الأرض ، لم يستثن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من ذلك شيئاً ، وكتاب الله يؤكد ذلك قال الله تعالى : فيمن أوجب له النار لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم^(٣) ، فإذا كان ما في الأرض ومثله معه لا يوجب الجنة التي أوجبها الجهاد في سبيل الله بقوله : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله ، الآية وقال : يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون ॥ بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، فالجهاد في سبيل الله أفضل من الدنيا وما عليها ومثله معه كما قال الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وذلك أن المجاهد في سبيل الله يبذل مهجة نفسه فيه التي لو عرضت عليه الدنيا وما فيها ومثلها معها يبذلها لما قبلها ، فكذلك يكون ثوابه على الله الجنة التي أعدها لأوليائه ولأهل طاعته من عباده ؛ فاعرفوا عباد الله قدر الجهاد في سبيل الله مع أئمتكم وثوابه ولا تغفلوا عنه ولا تجهلوا مآله ولا تتهاونوا بأسبابه ولا تزهّدوا في ثوابه ، فإن المجاهدين في سبيل الله سادات عباد الله وأهل المنزلة عند أولياء الله ، قد عظم الله في أعين عباده وقلوبهم في الدنيا مقدارهم ، وأجرى على ألسنتهم

[٢٥ ب]

[٢٦]

ذكر فضلهم ، وأنطقهم بالدعاء لهم في صلواتهم ومواضع رغباتهم وحين
رجاء قبول دعائهم وعلى منابرهم في جمعهم وأعيادهم ، وفضلهم في الآخرة
عليهم ورفع فيها منازلهم ، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
أنه قال : المجاهدون في سبيل الله قواد أهل الجنة . . واعلموا أيها المؤمنون
أن للجهاد في سبيل الله مع أمتكم حدوداً وشرائط وأدباً تخرج عن حد هذا
الكتاب ، جماعها تقوى الله وطاعة الأئمة ومن نصبره وبذل النصيحة
والاجتهاد في اجتياح أعداء الله والنسليم لأوليائه والعمل بطاعة الله
وحفظ حدود الله ، فقد سئل مولانا محمد بن محمد صلوات الله عليه عن
قول الله عز وجل : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن
لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله » فتبيل له يابن رسول الله : هذا لكل من جاهد
في سبيل الله ؟ فقال : قد سئل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله عن ذلك ،
لما نزل عليه فلم يحب فيه ، فأنزل الله بعقبه عليه صفة هؤلاء المؤمنين الذين
اشترى منهم أنفسهم فقال : « الثابون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله
وبشر المؤمنين » (١) ثم قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه (للسائل) (٢)
فمن أراد الجنة فليجاهد في سبيل الله || على هذه الشرائط والافهر في جملة
من قال رسول الله (صلح) وعلى آله : (ينصر الله هذا الدين بتوم لا خلاق
لهم) (٣) . ففي هذا أيها المؤمنون بلاغ لكم ، فجاهدوا مع أمتكم في سبيل
ربكم ، كما افترض عليكم ، وحافظوا على حدوده التي حد لكم ، وارغبوا
بأنفسكم عن أن تكونوا ممن لا خلاق له ، كما قال نبيكم ، واقبلوا عن الله
قوله الذي به أمركم حيث يقول : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم
وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » (٤) وتذاكروا

[٢٦ ب]

(٢) في الاصل : سائل .

(١) سورة التوبة ١١٢/٩ .

(٣) سورة التوبة ٤١/٩ .

فضل الجهاد وذكروا به إخوانكم ، فقد جاء عن رسول الله (صلع) أنه قال :
 جميع أعمال البر كلها في عمل الجهاد كنقطة في بحر لجى ، وإن ذلك في المشقة
 والكافة . كذلك كم فرق بين ألم الصلاة والصيام وغير ذلك من أعمال البر
 وبين ألم ضرب السيف وطعن الرماح ، ومشقة السفر ومباشرة الحر والنمر
 والاغتراب عن الولد والأهل ، ولم بين بذل المال وبذل النفوس في غير ذلك
 من أعمال البر إذا قيس تعبهم ومشقته إلى تعب الجهاد ومشقته ، كان كما قال
 رسول الله (صلع) « كالنقطة في بحر لجى ، وكذلك قدر ثوابه ودرجات أهله
 وفضل أصحابه || بقدر ما ينالهم من ذلك فيه ، وكذلك وجوهه ووجوه
 مشقته واختلاف أحواله كغرق البحر الذى اقتحم أهله الخطر فيه ، وركبوا
 هول البحر له لم يغدوا فيه غدوة آمين ، ولا أراحوا له راحة من الخوف
 سالمين ، ولا ظلوا فيه ساعة مطمئنين ، فهم طول ما هم فيه من ثواب المكافئين
 لعدوهم المناصبين لهم ، فإن عذبوا فيه فلهم أجر الشهداء بلا تغلب ولا قهر من
 الاعداء ، وإن نجوا منه فلهم ثواب الخوف فيه وحمل أنفسهم على التلافي به
 رجاء ثواب ربهم في ركوبه ، ولغدوتهم فيه بلا شك أفضل من غدوة القوم
 في البر التى قال رسول الله (صلع) لابن رواحة « لو أنفقت ما فى الأرض
 ما بلغت ثواب غدوتهم ، ولقد شبه المائد منهم بالمنشحط فى دمه فى سبيل الله
 فى البر ، وحبهم فى إقتحامه سلك الموت بركوبه البحر ، كالميت فى سبيل الله
 فى البر لا حيف أنفه ، والسالم فيه كالظافر فى البر بعدوه ، وقد قال رسول
 الله (صلع) « كل بر حتى يقتل الرجل فى سبيل الله ، فأخبر أنه لا ثواب
 أعظم منه ؛ فاعرفوا رحمكم الله قدر ثواب الجهاد || ولا تنفلوه ولا تركنوا
 إلى الهويناء والدعة فيه ، فليس على الهويناء والدعة ثبت أصل دينكم الذى أنتم
 عليه ، ولا بهما بسق فرعه الذى أنتم ثمرته ، ولو ركن إلى ذلك من كان قبلكم
 لما كنتم أنتم ؛ فصلوا ما ابتدأه لكم إخوانكم الذين أمركم الله تعالى بالاستغفار
 لهم ، ولا تهدموا ما بنوه لكم ، فقل بناء ترك لم يتعاهد فيرم إلا انهدام أو رث

[٢٧ ا]

[٢٧ ب]

أو أثلم ، والحفض والدعة من عدوكم هو كان سبب زوال ما بأيديهم إليكم ، مع فضل الله الذي قضاء لكم ، وعطائه الذي أعطاكم باجتهادكم واجتهاد من قبلكم ونصب أنفسكم في جهاد عدوكم ، فإن أردتم الدنيا فاستديموا خيرها ووفروها بجهاد عدوكم ، وإن أردتم الآخرة ، فإله خير وأبقى لكم ؛ واحذروا وعيد الله جل ذكره لمن تخلف عن الجهاد والنفقة في سبيله بأن يستبدل قوماً غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم ، فويل لمن كره الله انبعاثه في سبيله فثبطه واستبدل به غيره ، أعاذنا الله وإياكم من الخور بعد السكور ، ومن الإدبار بعد الإقبال ، ومن الذلة بعد العزة || ومن النقص بعد الكمال ؛ قال على صلوات الله عليه : لتصبرن على قتال عدوكم أو ليسلطن الله عليكم قوماً أتم أولى بالحق منهم فيعذبونكم ثم يعذبهم الله بعد ذلك ، واعلموا رحمكم الله أن أس الجهاد وقطبه ، وذروة سنامه وعرفه ، وأصله وفرعه ، في الطاعة والصبر ، فاصبروا رحمكم الله واثبتوا إذا لقيتم عدوكم كما أمركم الله ربكم ، وطاولوهم الصبر ، فإنه إن زاد صبركم على صبرهم طرفة عين غلبتموهم يا ذن الله فلا يكونوا على باطلهم أصبر منكم على حقكم ، وكذلك فاصبروا على البأساء والضراء في مسيرتكم ومقامكم ، وأطيعوا أئمتكم ومن أقاموه لكم وأمروه عليكم ، فأطيعوه مادام على طاعة الله وطاعتهم ، فإن عصى الله وعصاهم فلا طاعة في المعصية له عليكم ، ولا يهولنكم كثرة أعدائكم ، فإن الله عز وجل يقول وهو أصدق الناطقين بكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة يا ذن الله والله مع الصابرين ، فاصبروا يكن الله معكم ، فإنه من كان الله عز وجل معه فهو ناصره ومؤيده ، ومن || نصره كما قال الله فلا غالب له ، وقد نصر نوحاً صلى الله عليه لما ناداه « إني مغلوب فانتصر » ، وقد تملى عليه أهل الأرض فاهلكهم الله ، ولو شاء عز وجل أن يمتاح أعداءه بعذابه لفعل ، ولكن جل ثناؤه أراد أن يبلوكم بالأحوال ، ويفضل بعضكم على بعض بالطاعات والإقبال ، ولو شاء لجعلكم كما قال الله « أمة واحدة » ، ولم يكن فضل بعضكم على بعض ، فقتلوا

[٢٨]

[٢٨ ب]

في الفضائل ، وتوسلوا إليه بالأعمال الصالحة ، فإنها من أقرب الوسائل ، وسلوا إليه ما اشتراه منكم من أموالكم وأنفسكم بالجنة التي جعلها ثمناً لذلك لكم ، فإنها أموال إن لم تسمحوا بها في ذلك سمحتم ^(١) بها فيما هو قليل النفع لكم ، وإن أمسكتموها تركتموها لغيركم وبقيت تبعاتها عليكم ، وأنفسكم إن لم تبدلوا في رضا ربكم وتديموها بالجنة التي اشتراها الله بها منكم إنها ذاهبة من غير عوض واصل إليكم ، وأجلها مع ذلك مؤقت ولا يقربه اقتحامكم بها في جهاد عدوكم ، ولا يباعدكم ضحككم عنه بها ولا شحكم دونه عليها ، فما أيسر ما تبدلونه في | ثمن الجنة وما هو إلا اختبار لكم ومحنة ، وما أنتم في الجهاد إلا بمنزلة من ، كما أخبركم الله تعالى على إحدى الحسينين إما السلامة التي إياها توثرون وإليها تركنون ، أو الشهادة فإلى الحياة الدائمة تصيرون . قال الله عز وجل « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموالاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين . . الآية ^(٢) » ، فليثل هذا عباد الله فليعمل العاملون ، وفيه فليتنافس المتنافسون ، وفي الجنة ونعيمها فليرغب الراغبون ، إنها دار لا يحزن ساكنوها ولا يظعن عنها قاطنوها ، من الدر والجوهر قصورها ، وكاللؤلؤ والمرجان حورها ، ومن الماء الفرات والخمر والعسل واللبن أنهارها ، وبأصناف الثمار الدائمة تهطل أشجارها ، ويحلون فيها من أساور من ذهب ، ولباسهم فيها حرير ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، وعلى الأسرة والأرائك يتكثرون ، ومن الحرير والسندس يفتشون ، ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون بأكراب وأباريق وكأس من | معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحوار عین كأمثال اللؤلؤ المكنون ، ولهم فيها ما تشتهي الأنفس ، ولهم فيها ما يدعون ، فهذه أيها المؤمنون بعض صفات الله ربكم للدار التي اشتري بها منكم أنفسكم

[٢٩ أ]

[٢٩ ب]

وأموالكم في الجهاد في سبيله فابتاعوها بأنفس عما قليل تفارقونها ، وأموال في غير طائل تنفقونها أو لغيركم تتركونها ، فما صفقة أربح منها لكم ، ولا بيعة أجدى منها عليكم ، وفقنا الله وإياكم إلى ما يرضيه فيزلف به إليه إنه خير مستول وأفضل مرجو ومأمول

(١٠)

ذكر ما يجب للمؤمن الصادقين أنفذه من أموال

المؤمنين أو طوئمت

قال الله عز وجل ذكره لمحمد نبيه (صلعم) « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، فهذه الصدقة فيما اتفق عليه أهل النبالة هي صدقة الإبل والبقر والغنم ، وما يجب في الأموال وما أخرجت الأرض وصدقة الفطر ، يؤخذ ذلك من أهله في كل عام وسميت [] أيضاً زكاة لتمول الله عز وجل « وتزكيهم بها ، وقدر ما يؤخذ من ذلك معروف مفهوم في كل ما يجب فيه لو ذكرناه لخرج عن حد هذا الكتاب ، أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وعلى آله بأخذه من أموال المسلمين وصرفه في وجوهه التي سماها الله تعالى في كتابه إذ يقول جل ثناؤه « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمزلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (٢) ففرض الله عز وجل على المسلمين إخراج ذلك من أموالهم في كل عام ، ودفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، وفرض عليه صرفه في وجوهه التي سماها الله فكان المسلمون يدفعون ذلك إلى عماله الذين استعملهم على قبض ذلك منهم ، وهم العاملون عليها الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يضع ذلك في مواضعه التي أمره الله بوضعها فيها ، فلما قبضه الله إليه لم يقل

[١٢٠]

أحد من المسلمين إن فرض ذلك قد زال عنهم بل كانوا يدفعون ذلك إلى عمال من ولوه أمرهم بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله واحداً بعد واحد إلى أن رأوا بنى أمية يستأثرون به ولا يضمنونه مواضعه فسألوا من بقي منهم من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأمرهم بدفع ذلك إليهم ، فراجعوهم فيه وذكروا لهم ما يفعلون به فقال لهم بعضهم : ادفعوا ذلك إليهم ولو أكلوا به لحرم الحيات وقال بعضهم : ادفعوه إليهم ولو شربوا الخمر وأكلوا به لحم الخنزير . وقال بعضهم : ادفعوه إليهم فانما عليكم ما حملتم وعليهم ما حملوا أرأيتم لو أخذتم لصوصاً ففقطعتم أيدي بعضهم وتركتم بعضاً أكنتم مصابين في ذلك قالوا : لا . قال : فلو دفعتموهم إليهم نخلوهم أو قطعوا بعضاً وتركوا بعضاً أكان عليكم أنتم من ذلك شيء قالوا : لا . قال : فعلى هذا تجرى الأمور عليكم وأنتم تدفعون صدقاتكم إليهم وعليهم وضعها في مواضعها فمن تعدى فيما عليه بآثمه . ولهذا من الواجب نظائر يطول ذكرها لو كان لرجل على رجل دين ولرجل آخر على ذلك الذي له الدين دين فدفع الذي له عليه الدين ما كان له عليه إلى الذي له الدين على الذي || له دينه عليه بغير أمره لما برىء من ذلك ولكان عليه أن يدفع ما عليه إلى الذي هو له . وكذلك الأمر في الزكاة على من هي عليه أن يدفعها إلى من أمر بدفعها إليه وعلى من يقبضها أن يصرفها في الوجوه التي أمر بصرفها فيها ، فمن تعدى ذلك من دافع أو قابض بآثمه ولزمته تباعته قال عز وجل : وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فلو أن رجلاً استخلف رجلاً على مال له وأمره بأن يدفع منه شيئاً معلوماً إلى رجل سماه ، وأمر ذلك الرجل بأن ينفق ما يدفع منه إليه على عياله أو في وجوه أمره بأن ينفقه فيها ففعل كل واحد منهما ما جعله إليه وأمره به جاز ذلك من فعله ولم يكن عليه فيه تباعة لمن وكله وإن تعدى أو أحدهما شيئاً من ذلك وخالف أمر من وكله أو دفع من أمر بالدفع إلى الرجل ما أمر بدفعه إلى غيره ممن أمر الرجل بالنفقة عليه أو دفعه إليه أو دفع ذلك إلى غيره كان متعدياً في فعله ، وضامناً

[٣٠ ب]

[٣١ ا]

[٣١ ب] لما استهلك منه وهذا إجماع المسلمين || فمن خالف الله عز وجل فيما أمر به واستخلفه عليه أخرى بالظلم والتعدي وأجدر بالعقوبة . فافهموا رحمكم الله هذا المعنى أيها المؤمنون وتواصروا به واحتجوا به على من خالفكم فيه ، فإنهم إن يحدوا منه مخرجا ولا حجة إلا من ظلم منكم وكابر الحق فإن الله عز وجل يقول : « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم ، فمن دافع الحق واحتج بالباطل فهو ظالم فلا تخشوه .

وكذلك اجتنبوا على أن هذه الصدقات محرمة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعلى أهل بيته خاصة وحلال لسائر المسلمين غيرهم عامة ، إذا دخلوا في جملة أهلها ، ولا تحل لأحد من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإن دخل في ذلك أو كان فقيرا أو مسكينا أو عاملا على الصدقة أو كان من المؤلفة قلوبهم أو غارما أو ابن السبيل أو مجاهدا ، لم يحل له من ذلك شيء وفي ذلك أبين البيان على أن الله عز وجل جعل نبيه والأئمة من أهل بيته صلوات الله عليهم أمانا على قبض الصدقات من أهلها || ووضعها مراضعها وحرما عليهم وعلى أهل بيوتاتهم ليعلم الناس أنه لا حظ لهم ولا لمن قرب منهم فيها ولا يكون في أنفسهم عليهم شيء من أجلها ونزههم الله عز وجل عنها لما كانت غسالة ذنوب عباده وطهورتهم . وكذلك قال رسول الله عليه وعلى آله : « أدوا زكاة أموالكم فإنها طهور لكم ، وعرض الله عز وجل رسوله (صلى الله عليه وسلم) والأئمة من أهل بيته عما حرّمهم من ذلك الخمس فجعله لهم في أموال عباده من المؤمنين مرة واحدة ليس على أنه يجري في الأموال كما تجري الزكاة في كل عام فقال جل ثناؤه : « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (١) . قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : « الخمس لنا أهل البيت ليس للناس معنا فيه شيء ونحن شركاؤهم في أربعة أخماس الغنائم فيما شهدناه معهم والخمس لنا دونهم نعطي منه يتامانا وفترانا ومساكيننا وابن سبلنا وليس لهم ولا لنا

في الصدقات شيء . وقول الله عز وجل « فإن لله خمس » ، معناه أنه يراد به وجه الله وثوابه وللرسول إذا كان حيا ، فلما قبضه الله إليه عاد ذلك إلى الإمام من أهل بيته من بعده يعطى منه قرابته وأهل بيته الذين يراهم لذلك أهلا ويصنع فيه ما أحب . فعلى جميع المؤمنين أن يدفعوا خمس ما غنموه في كل عصر إلى إمام ذلك الزمان من أهل بيت رسول الله (صلعم) ، كما أمر الله عز وجل بذلك مع زكاة أموالهم ، وليست الغنيمة ما أخذ من أيدي المشركين خاصة بل ذلك كل كسب كسبه المرء فهو غنيمة . قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه « أوجب الله تعالى لنا الخمس في أموال عبادته المؤمنين وجعله لنا حقا عليهم فمن منعنا حقا ونصيبنا في ماله لم يكن له عند الله من حق ولا نصيب ، فافهموا أيها المؤمنون قول مولاكم وواعظوا أن الخمس لأولياء الله عليكم في جميع ما أفدتموه ولا تظنوا أن ذلك في الغنيمة التي تؤخذ من أيدي العدو خاصة بل ذلك في جميع ما أغنمكم الله إياه عامة ، والغنم في لغة العرب ولسانها الذي أنزل الله عز وجل به القرآن الكسب والغرم النفقة ^(١) ومن ذلك قيل لمن يستأثر بالزكاة يرى فلان حبس الزكاة مغنما وإخراجها مغرما ، ومنه قال رسول الله (صلعم) في الرهن : لصاحبه غنمه وعليه غرمه . فاعلموا أيها المؤمنون كما علمكم الله أن ما غنمتم من شيء أي كسبتموه أو فدتموه فإن لله خمسة تقربون به إليه وللرسول تدفعون إلى إمام عصركم ثم إليه الأمر فيه وفيما يعطى منه فقراء أهل بيته وبتامم وأبناء سبيلهم فما كسب أحدكم من كسب أو أفاد من فائدة فليخرج خمسة في وقت وصوله إليه فيدفعه إلى إمامه ثم ينظر إلى ما يبقى في يديه فيزكيه لكل عام على واجب الزكاة فيه وليس عليه فيه بعد ذلك خمس . واعلموا أن ذلك الخمس وما يجب عليكم من الزكاة ليس لكم ولا من أموالكم وإنما هو أمانة لله في أيديكم ولرسوله كما قال تبارك اسمه . وقد حذركم في كتابه خيانتة فقال « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » ^(٢) ولذلك قال رسول الله (صلعم)

[٣٣ ب]

ولا ينقص مال من صدقة ، فلو كان هذا القول محمولا على ظاهره || لكان عدد المال إذا أخرجت منه الصدقة نقص ولكنه أراد صلى الله عليه وعلى آله أن الصدقة المفروضة ليست من مال من هي في يديه إذا كان الله تعالى قد أوجب إخراجها عليه وإنما ماله ما بقي له من بعد إخراجها وهي مال لقوم آخرين في يديه بأمانة الله عنده تعبد به عز وجل بحفظها عنده ، وامتحنه بدفعها إلى من أمره بدفعها إليه . فأما الزكاة التي تسمى أيضا صدقة كما قدمنا ذكر ذلك حين ذكرنا أنها تجب في كل عام على الناس في صنوف أموالهم فإن الأئمة يقتضون الناس فيها ويجبرونهم على إخراج ما وجد في أيديهم منها ويتبصرونها ويجاهدون من منعها ، لقول الله عز وجل : خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ، فأمره بأخذها وأمر الله واجب فعله على من أمر به والأئمة في ذلك يقومون بعد رسول الله صلح بمثل ما كان يقوم به في قبض الصدقات وكذلك استحل أبو بكر دماء بني حنيفة إذ منعه زكاة أموالهم ، وتأول ذلك لنفسه وليس ذلك || إلا للأئمة ، فأما من منع زكاته غيرهم فهو مصيب في منعه إياها ، وأما الخمس فليس يكره الأئمة الناس عليه إذ كان حقهم وهم مخيرون بين تركه وأخذه ولم يتعبدوا الله عز وجل بأخذه من أيدي الناس كما تعبدوا بأخذ الزكاة ، ولكنه تبارك اسمه تعبد الناس بدفعه إليهم بقوله : واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة ، فأوجب ذلك على الناس وأخبرهم أن الخمس مما رزقهم وأغنهم له ولرسوله ولذي القربى ، ولم يأمر رسول الله بأخذه أمر إلزام كما أمره بأخذ الزكاة ، ولكنه جعل ذلك له وللأئمة من بعده وأوجب على الناس دفعه إليهم ، وأخبرهم أنه لهم دونهم ، فليس يحل لهم منه شيء إلا ما أحله للأئمة لهم ، ثم جعل عز وجل للأئمة صلوات الله عليهم عند استنقاذهم أوليائهم في أموالهم وفيما أحبوه وما رأوا أن يمتحنهم به ما رأوه من ذلك ، وقد امتحن الله عز وجل أنبياءه بضروب من المحن يقصر عن ذكرها هذا الكتاب ، وامتحن رسول الله (صلح) وصيه علي بن أبي طالب في حياته

[٣٤ ا]

- [٣٤ ب] في سبع مواطن ذكرها على صلوات الله عليه وذكرها يطول ، ويخرج عن حد هذا الكتاب ، وهي موجودة في الكتب ، ذكرها لرأس اليهود إذ سأله من إمتحان الله الأوصياء في حياة الأنبياء وبعد وفاتهم وامتحنه صلوات الله عليه في ماله فأمره بالخروج منه كله ففعل ، ثم قاسمه إياه مرتين حتى أنه قاسمه خاتمه وجبرائيل شاهد لذلك ، وامتحان على صلوات الله عليه الحسن أيضاً في ماله فقاسمه إياه مرتين حتى نعله ، والناس يروون هذا عن الحسن أنه قاسم ماله مرتين حتى نعله فجعل في كل مرة فرد نعله فيما أخرجه ، وامتحان الأئمة أوصياءهم بصنوف من هذه المحن ، وكذلك يمتحنون أوليائهم بما أحبوه عند تبليغهم درجة الفضل في أموالهم وفيما رأوا من امتحانهم فيه غيرها ، فقد امتحن رسول الله صلى الله عليه علياً صلوات الله عليه بالقتل فرضى به واضطجع على فراشه ليقتل دون رسول الله صلع ، وكما امتحن الله عز وجل إبراهيم خليله بذبح اسماعيل وصيه ، ومن ذلك قول الله تعالى : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تئيتاً ؛ وإذا لا تيناها من لدنا أجر أعظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً ^(١) » فمن امتحنه أولياء الله منهم أيها المؤمنون فليصبر البحنة ، وأيسر ذلك المال ، وليس فيه توقيت على الأئمة عليهم السلام ولا فيما يمتحنون به أوليائهم عند ارتضائهم أحوالهم وإبلاغهم درجة الفضيلة عندهم . ثم المؤمنون بعد ذلك مندوبون إلى التطوع بالانفاق من أموالهم في سبيل الله ورفع أعمالهم منها إلى أوليائهم ، أو من أقاموه لنبض ذلك منهم ، وذلك مفوض فيه إليهم وليس عليهم فيه توقيت ولا فرض معلوم وإنما هو تطوع كما قال الله عز وجل : « فمن تطرع خيراً فهو خير له ، وكذلك ما يفعلونه في أموالهم من صلة أرحامهم وصلة إخوانهم والصدقة على الفقراء والمساكين منهم ومن غيرهم أيضاً مرغّب فيه إليهم فيما أحبوا || منه وتقربوا إلى الله به فهذا هو الفرض أيها المؤمنون عليكم في الذي خولاكم
- [٣٥ ب]

الله وأنعم به عليكم ، وجعلكم مستخلفين فيه ، وصيره أمانة في أيديكم ، ليلوكم ايكم أحسن عملا كما قال الله عز وجل في كتابه وأوجبه وافترضه عليكم في إيجابه ، فالله الله عباد الله في أمانة الله في أيديكم فيما خولكم من أموالكم فإنها من أعظم المحن عليكم في إيجابه . قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : ما فرض الله تعالى على هذه الأمة شيئا أشد عليهم مما فرض عليهم في أموالهم ، وفي ذلك هلك عامتهم فأنزلوها المنزلة التي أنزلها الله تعالى فإنها أمانة عندكم وليست من أموالكم التي أباحها الله لكم فما أقبح بالرجل أن يأتمنه أحد من سائر الناس من ملي أو ذمي على أمانة أو يودعه وديعة فيخونه فيها أو يستأثر دونه بها أو يمجده إياها إن هذا لما يرغب عنه كثير من عوام الناس أئمة عنه وكيف بمن خان أمانة الله وأمانة رسوله وأكل حق أوليائه واستأثر دونهم به ، فإن أكل ذلك وأنفقه فقليل والله ما اعتاض منه ولو استغنى وعف عنه لوجد رزقا حلالا غيره لأن الله عز وجل قد تسكفل بالرزق لعباده وإن أبتاه لورثته من بعده ، فيأله من حسرة عليه ونقص في دينه . وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه في قول الله تعالى «حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلني أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها»^(١) . قال يعني فيما ترك في ماله أن يخرج منه ما افترض الله عز وجل فيه عليه هيات والله قد حيل بينه وبين ذلك وقال : «ومن لم يرد زكاته لم تقبل صلاته وقال الله تعالى «فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» الى قوله «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم»^(٢) فلم يوجب لهم أن يكونوا مسلمين حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . وقال جعفر بن محمد ص . ع : ما خان الله زكاة ماله إلا مشرك . وقال الله عز وجل «فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة» ومن أعطى من ذلك غير أهله فلم يؤت كما بينا فيما تقدم ذكره في هذا الباب . فأدوا أيها المؤمنون ما افترضه الله عليكم في أموالكم إلى أئمتكم واعلموا أن أنفسكم لا محالة أشد شيء مكابرة

[١٣٦]

لكم وامتناعا في ذلك عليكم فاغلبوها عليه ، فان الله يقول : ولستم بأخذيه
 إلا أن تغمضوا فيه ،^(١) وقال : إن النفس لأمارة بالسوء ، وقال رسول الله
 صلى الله عليه وعلى آله والهوى إله مجبر . وتلا قول الله : أفرأيت من اتخذ
 إلهه هواه ، وقال إن الصدقة لا تخرج من يد المئمن حتى يفك عنها
 لحيا^(٢) سبعين شيطانا كلهم يثبط عنها ويأمر بحبسها ، وقال الله تعالى : ولا يسألكم
 أموالكم إن يسألكموها فيخفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ،^(٣) وقد ذكرنا فيما
 تقدم أن مال المرء هو الباقي له بعد إخراج الواجب مما في يديه فلم يسأل الله
 عباده ذلك ، ولكنهم إن تطوعوا منه بشيء كان له ثوابه ، ولو قطع عز وجل
 هذا الذي ذكره في كتابه لكان منه تقريع وتبكيت لعباده ، فكيف وقد قال
 بعده : ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فنكم من يبخل ومن يبخل
 فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم
 ثم لا يكونوا أمثالكم ،^(٤) فاغلبوا أنفسهم على ما افترض الله عليكم واملكوا
 فيه أهواءكم ولا تتخذوها إلهاء لكم ، واخسأوا عنكم شياطينكم ، وإنما
 تعطون جزءا مما أعطاكم الله قد ائتمنكم عليه ولم يجعل لكم سبيلا إليه .
 واعلموا أن قول الله عز وجل : واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله
 خمسة والرسول ، يقع على كل شيء أصبتموه واكنسبتموه وصار إليكم
 وغنمتموه من كسبكم أو عمل أيديكم أو ما ساقه إليكم ورزقكموه أو بما
 أنالكم أئتمتكم واعطوكوه ، فعليكم إخراج خمس ذلك على ما ذكرناه مما قل
 أو كثر منه ودفعه إلى أئمتكم أو من أقاموه لقبضه منكم فريضة فرضها الله
 لهم عليكم ، أعاننا الله وإياكم على أداء فريضته وأعادنا من خيائته وخيانة
 رسوله وأوليائه .

(١) البقرة ٢٦٧/٢

(٢) هكذا في الاصل ولعلها لما بمعنى الكلام الكثير في الباطل .

(٣) محمد ٣٨/٤٧

(٤) محمد ٣٧/٤٧

(١١)

ذكر ما يجب على جميع العباد من التسليم
في جميع الأمور إلى الأئمة

قال الله جل ذكره ، أطيعوا الله وأطيعوا الرسل وأولى الأمر منكم ،
وقال تباركت أسماؤه ، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ،^(١) فالتسليم هو
الطاعة ظاهرة وباطنة لمن أوجب الله طاعته ، وقرنها بطاعته جل ثناؤه
وهو رسوله (صلح) والأئمة من أهل بيته ، فيلزم لجميع الأمة أن يسلموا
لهم ويتلقوا بالقبول ما كان منهم بظاهر لفظهم ، واعتقاد قلوبهم وعلا نيّتهم
وسرهم ، فيما أحبوه أو كرهه أو رضوه أو سخطوه أو عرفوه أم أنكروه
حتى يعود عندهم المكروه لديهم من ذلك محبراً ، والسخط رضاء ،
والإنكار معرفة ، وإن لم تكن معرفة بتحقيق فلتكن معرفة بتسليم
وإقرار منهم بالعجز والتخلف والجهل عن حقيقة تلك المعرفة ؛ وأن الذي
كان من الأئمة صلوات الله عليهم حق وصراب وصدق ، وإن كان ذلك
في أنفسهم وهم يعلمون برامتهم بما عسى أن عوقبوا أو قرنوا به ، فليعلموا
ويوقنوا عجزهم عن إدراك ما في أنفسهم ؛ فإن الأئمة صلوات الله عليهم
أعلم بذلك لأنهم بنور الله عز وجل ينظرون وبأحكامه يقضون ويحكمون ؛
وأكثر من ضل عن الهدى لا يرى أنه ضل بل يحسب أنه على حق وصواب
وهدى . قال الله عز وجل في قوم هذه حالهم ، ويحسبون أنهم على شيء إلا
أنهم هم الكاذبون ، . وقال تعالى ، وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا
إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ،^(٢) وهذا باب
ثقيل محمله صعب مأخذه وبقدر ذلك تكون درجة حامله ومعتقديه والآخذ

[٣٧ ب]

به وبمثله امتحن العالم موسى عليه السلام لما أراد صحبته ، وقد روى أن رجلا
 من أهل الشام أتى ابن عباس فسأله عن أفعال كانت لعل عليه السلام
 في حربه فقال له ابن عباس : سل عما يعنيك . فقال له الشامى : إني لم آتاك
 من حمص لحج ولا عمرة ، ولا أتيتك إلا لشرح ما سألتك عنه من أمر على
 فقال له ابن عباس : إن علم العالم صعب لا يحتمل ولا تقر به قلوب أكثر
 الناس ، إن مثل على فيكم كمثل العالم وموسى قال الله تعالى لموسى لما سأله النظر
 إليه يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن
 من الشاكرين . وقال : وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا ،
 فظن موسى عليه السلام أنه بلغ غاية العلم كما ظننتم أنتم إن علماءكم قد بلغوا
 ذلك وأثبتوه لكم ، فأراه الله عجزه بامتحان العالم إياه وصحبته له ، فلما خرق
 العالم السفينة عن علم بذلك كان خرقه إياه برضى الله وسخط موسى عليه
 السلام وجهله ؛ وقتل العالم الغلام عن علم ، فكان قتله لله رضا وسخط موسى
 وأقام العالم الجدار بعلم وكانت إقامة إياه لله رضا وسخط موسى ذلك
 وجهله ، ثم بين له العالم ذلك وأوقفه عليه كما ذكر الله تعالى في كتابه ؛ وبين
 ابن عباس الرجل أمر ما سأله عنه ، ولو سلم ذلك لعل صلوات الله عليه ولم ||
 يتعقبه من أمره ولم ينكره من فعله لكان ذلك أفضل ، وهو كان الواجب
 عليه كما أن ذلك كان الواجب على موسى . وقد اجتهدت الأمة أنه لا يجوز
 ولا ينبغي لأحد أن يتعمب ولا ينكر ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) بل الواجب
 على الخلق تلقى ما جاء عنه بالقبول لقول الله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه
 وما نهاكم عنه فانتهوا » . وقال تبارك أسماؤه « فلا وربك لا يؤمنون حتى
 يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلبوا
 تسليما » ^(١) فأخبر عز وجل أنهم إن لم يسلبوا له لم يكونوا مؤمنين وأن ذلك
 التسليم لا يكون باللسان الظاهر حتى يعتقد بالقلب ولا يكون في النفس منه
 حرج . وكذلك ينبغي التسليم للأئمة ولا يجوز ولا يحل تعقب أفعالهم ولا

[٣٨ أ]

[٣٨ ب]

إنكارها بل الذي يجب أن يتلقى ما يكون منهم بالتقبل ظاهراً وباطناً ونية واعتقاداً وقولاً وفعلًا لأن الله عز وجل قرن طاعتهم بطاعة رسوله وجعلهم خلفاء الأمة من بعده وهذا أصعب ما حمل المؤمنون ، وبقدر ما يحتملون منه تكون درجاتهم عند الله وعند أولياء الله ، ولذلك قال جعفر ابن محمد صلوات الله عليه « لا يحتمل أمرنا ويقوم به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو نحن أو من ارتضى الله من عباده » فأما ما ذكره صلوات الله عليه من احتمال الملائكة والنبیین فلما يكونون من عند الله تعالى ، وأما ما ذكره من احتمال الأئمة فلما يكونون من الله تعالى ومن رسوله (صلعم) وأما ما ذكره من احتمال العباد فلما يكونون من الله عز وجل ومن رسوله ومنهم صلوات الله عليهم ، وقد فسر ذلك ويدينه في حديث آخر قال فيه « أمر الله ورسوله (صلعم) بطاعته عز وجل وأمرنا بطاعته وطاعة رسوله وأمر الناس جميعاً بطاعته وطاعة رسوله وطاعتنا » فقال للنبي « اتق الله » وقال إنا « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » وقال للناس « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » فيذبخي لاتباع الأئمة خاصة ولعامة الناس كافة أن يجهدوا أنفسهم ويدأبوا في رضا خالقهم وطاعته وطاعة رسوله والأئمة من ذريته وينصحوا لهم ويؤدوا لهم أمانتهم كما افترض الله عليهم ، ويلزموا الحذر والتحفظ من السقوط عندهم ، ويحترزوا ما خالف محبتهم ووقع بخير المرافقة عندهم ، فإن رأوا أنهم قد قاموا بذلك ووفوا شرائطه ووقفوا على حدوده ، ولم يكن فيما بينهم وبين الله جل ذكره ما يتوقعون له أمراً يكرهونه منه ولا من أوليائه (صلعم) ، فنزل بهم أمر من الله تعالى أو من أوليائه صلوات الله عليهم فيه لهم عقوبة أو امتحان بأي وجه جرى ذلك ، وكان ذلك في أمر يشكرونه أو يكرهونه من جميع الأمور لم ينكروا من ذلك شيئاً بظاهر أمورهم ولا باطنها ، ويسلبوا الأمر بالله ولأوليائه قوة وفعلًا واعتقاداً ونية ، وأيقنوا أن ذلك عدل من الله ومن أوليائه وصواب كله فإن الذي ينالهم منه هم أهله أو أكثر منه ، وأن الذي

[٣٩]

[٣٩ ب]

عفا الله لهم وأولياؤه أعظم مما نالهم منه . واعلموا أن الله سبحانه لا يجرى على أيدي أوليائه عقوبة إلا لمن استحقها ، ولا أمرا إلا ما يرضاه ، فليحمد الله إذ عجل له بالعقوبة في الدنيا ولم يرُخرها إلى الآخرة ، إذ كانت الآخرة أشد عذابا وأبقي ، وأن جعل عقوبتهم في دار الدنيا التي جعل فيها عقوبة أوليائه وأصفيائه وثواب من رأى أن يثيبه من أعدائه لئلا يتلقاه ولي له وعليه تباعة ولا عدو له حسنة ، وقد عاقب كثيرا من أنبيائه في عاجل الدنيا بذنوب صغائر يعمل كثير من الناس أمثالها فلا يعاقبون في الدنيا عليها ومن عرقب منهم || بها فلعله لا يدري بأي أسباب العقوبة كانت عنها . وقد جاء عن الأئمة صلوات الله عليهم ذكر أسباب ما عاقب الله عز وجل عليه سليمان وأيوب ويعقرب ويونس وأن ذلك لصغائر كانت بينهم من الذنوب يخرج عن حد هذا الكتاب لو ذكرناه لطال الاخبار عنها لولا أن ذلك روى لما علم أن مثل تلك العقوبات العظيمة كانت من أجل تلك الذنوب وكذلك يعاقب المؤمن في الدنيا بما لعله لا يعلم كثيرا من أسباب ما يعاقب به فيها ، وقد قال الله تعالى : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ، ^(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : ما توفون أكثر مما تلقون ، وسئل عن قوله تعالى : ومن يعمل سوءا يجز به ، فقيل له يا رسول الله لأن كنا نجزي في الآخرة بكل سوء عملناه في الدنيا لقد هلكنا . فقال : ليس الأمور كما تظنون ، أما تصابون في الدنيا بمصائب ، أما تألمون أما تحزنون أما تصيبكم الآفات . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : فذلكم ما تجزون || به ، وقد جاء في بعض الأخبار أن رجلا حج فينما هو يطرف إذ نظر بامرأة في الطواف بين يديه فأعجبه ما رأى من خلفها ، فوضع يده على عجيزتها فغمزها بها ، فقالت : من هذا الذي يمس مني في هذا الموضع ما حرم الله قطع الله يده ، فانصرف الرجل من يومه إلى منى وبات في رحله فينما هو

[٤٠]

[٤٠] ب

نائم إذ ثارت صيحة على سارق سرق متاعا لبعض الحجيج وذهب ليشد به وأصحابه في الطلب له في ظلمة الليل فأنبه الرجل في الصيحة وقام قائما فوافي السارق فرمى بالمتاع في وجهه وهرب ولحق القوم الرجل والمتاع في يده فأخبرهم الخبر فلم يقبلوا منه ، وقالوا : ما السارق غيرك !! ومضوا به إلى السلطان وشهد عليه من رأى المتاع في يده فنطعها^(١) ، فعلم الرجل أن ذلك عقوبة ما فعله في يومه ذلك ولو طال ذلك عليه لاشتبه عليه فيه ، وكذلك من نالته عقوبة من الله أو من أوليائه وهو عند نفسه برىء منها لعد ذلك كان لذنوب غير الذنب الذي قرف به ورأى أنه برىء منه ، وقد يخفر الله عز وجل ويفر عن || عباده ما شاء من الذنوب في عاجل الدنيا وآجل الآخرة ، ويعجل من ذلك عقوبة ما شاء ويؤخر عقوبة ما أراد ، فله الحجة على من عاقبه والفضل على من رحمه ، فمن غفر ذنبه في الدنيا والآخرة ، فقد أكمل العفو عنه ، وأسبغ عليه النعمة ، ومن عجل عقوبته في الدنيا فقد خفف عنه العقوبة ، ومن عاقبه في الآخرة فقد عاقبه بما يستحقه وله جل ذكره الحجة البالغة .

[١٤١]

(١٢)

ذكر الخوف من الأئمة صلوات الله عليهم والخذل من عفو بنهم
وسقوط المنزلة عندهم

يذنب لمن عرف الأئمة أن يخافهم كما يخاف ربه ، ويتقيهم كما يتقى الله ، إذ كان الله عز وجل قد قرن طاعتهم بطاعته وجعلهم الوسائط فيما بينه وبين خلقه والشهداء على عبادته ، فرضاهم موصول برضاه^(٢) الله ، وسخطهم معقود بسخطه ، وبهم يثيب وبهم يعاقب . قال جعفر بن محمد : والله ما هو إلا الله عز وجل ، وأوماً بيده إلى السماء ، ونحن ، وأوماً بيده إلى نفسه ، وشيعتنا منا وسائر الناس في النار ، بنا يعبد الله وبنا يطاع الله || وبنا يعصى الله

[٤١ ب]

(٢) في الأصل رضوا .

(١) في الأصل قطعه .

من أطاعنا فقد أطاع الله ومن عصانا فقد عصى الله سبقت طاعتنا عزيمه من الله إلى خلقه أنه لا يقبل من أحد عملاً إلا بنا ، فنحن باب الله وحقته وأمنائه على خلقه ، وحفظه سره ومستودع عليه ، فالواجب على جميع العباد التقرب بالطاعة إلى أولياء الله والتزين بالأعمال الصالحة عندهم ، واتباع ما أمروا به ، واجتناب ما نهوا عنه ، والعمل بما يرضيهم ، ويزكوا لسيهم ويزلف به إليهم والخوف منهم ، إذ كان ذلك من القربات إلى الله جل ذكره ، وقد وعد الله الخائفين منه جنته . وجاء في الحديث أنه « من لم يخف من الناس لم يخف من الله » فهم الناس ههنا . كما قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه « نحن الناس المحسودون على ما أتانا الله من الإمامة وأحق الناس بالخوف من الأئمة من عرف مكانهم من الله » قال الله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقال : « واتقون يا أولى الألباب » وأحقهم بذلك منهم من قرب مكانه ودنت منزلته من أولياء الله وعظم لديه فضاهم وإحسانهم || كما أن الملائكة المقربين أعظم خوفاً من الله وأشد اجتهاداً وعبادة له من سائر الناس ، وأكثر ما يحب الخوف على من في يده شيء يخاف انتزاعه منه كما جاء عن المسيح عليه السلام أن بعض الحواريين صحبه في السياحة فمرا في مفازة فجعل ذلك الحوارى يكثر عليه ذكر الخوف من تلك المفازة ، فلما أكثر عليه من ذلك قال له المسيح عليه السلام أمعك شيء ؟ . قال : نعم . وأخرج قطعة من ذهب فقال : ارمها ، فرمى بها وسار فلم يقل شيئاً فلما تناسى ذلك قال عيسى إن هذا المكان يخاف فيه . قال الحوارى : وما معنا يا روح الله فنخاف .

[٤٢]

فيذبني لمن زاده الإمام منه قرباً أن يزداد له تعظيماً ومنه خوفاً ، ولا يرى من تحفظ عند نفسه من السقوط وتعفف عن المحارم وتنزه عن الشبهات ورعى أمانته وعهده وبذل مجهوده إنه قد أمن فيطرح الخوف ويدع المراقبة فإن التهاون من رأس الخطايا وأن الملائكة الذين هم أكثر العباد خوفاً من الله واجتهاداً في طاعته لا ذنوب لهم ولسكنهم يخافونها على أنفسهم

[٤٢ ب]

ويتقونها ، ومن لم يخف شيئاً أمنه أو إذا أمنه تهاون || به ، وفي الخوف من الأئمة تعظيم أمرهم وإجلال قدرهم ، وفي استشعار ذلك والمحافظة عليه وكونه نصب الأعين وفي سويداء القلوب وعين الفكرة وحديث الأنفس ما يؤمن معه الزلل المردى عندهم ، المسقط المنزلة لديهم ، المزيل نعمتهم عن أنعموا بها عليه ، فلم يرعها حق رعايتها الموجب مقتهم نعوذ بالله من ذلك ومن دواعيه ومن كل عمل يوجه ويدنى إليه ، وإنما يرقى أكثر من يرقى من الثقة بنفسه والإعجاب بعمله وقرب منزلته وما يختص به وبذريعة يرى أنه يتقرب بها ووسيلة يتوهم أنه يتوسل بسببها ومكان يقدر أنه يستحقه ، ودنو يخيل إليه أنه يوجب حقاً وحرمة له ، وقد بينت في غير موضع من هذا الكتاب بأنه ليس لأحد على أولياء الله حق ولا إيجاب وإنما نال العباد لما بالوه عندهم تفضلاً من الله ومنة عليهم ، وإنما يقرب منهم ويدنى إليهم ويرضيهم ويزكي عندهم الأعمال الصالحة ، وأبعد الناس منهم أهل المعاصي والعدوان وإن تقربوا إليهم بالأرحام والدنو والمنازل || والمكان ، وكم من قريب منهم بعيد من قلوبهم ، ودان إليهم شاسع عن محبوبهم ، نعوذ بالله من حال من هذه حاله ، فإن من لا يعرفه ولا يعرفهم وإن ساءت حاله عند الله وبعد من رحمته أحسن حالاً على سوء حاله بمن هذه أحواله ، فتقربوا أيها المؤمنون إلى أمتكم بصالح الأعمال ، وخافوهم واخشوهم في جميع الأحوال ولا تغتروا منهم بالقرب والدنو والأعمال ، تقربوا إليهم بما يقربكم من قلوبهم ويدنيكم مما يرضيهم ولا تتكبرا على قرب الأبدان دون القلوب ، وتهاونوا بارتكاب المعاصي وإتيان الذنوب ؛ وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أنه ذكر سوابق الأعمال فنال فيها وحب أهل بيتي حقاً من قبل القلوب لا الزحم بالمناكب ومفارقة القلوب ، فلا يرى منكم من قرب إليهم ببذنه أنه قريب إذا باعده منهم عمله فإن من الواجب على ما جاء في هذا الباب أن يكون أخوف الناس من الذنوب وأرجاهم للثواب من قرب منهم ولصق

[٤٣ ا]

بهم ودنا ۞ إليهم ، وإن كان ذلك محنة على الشاسع والداني فإنه ينبغي أن يكون أخوف الناس من النار من قرب منها وأشوقهم إلى الجنة من دنا إليها ، ثم لا تقنطوا مع الخوف منهم من رحمتهم ، ولا تيأسوا إن عملتم سوءا فقتبتم منه إليهم واتصلتم من عفوهم وشفاعتهم فإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون ولا يأمن منه ولا يخافه إلا الجاهلون ، وهم أبواب الله وأنسابه والوسائط بينه وبين عباده .

(١٣)

ذكر ما ينبغي من تولى من وإلى الأئمة ومحبة

وعداوة من عادائهم وقطيعة وبغض

قال الله عز وجل ووصف المؤمنين من عباده : أشداء على الكفار رحماء بينهم ، وقال : إنما المؤمنون إخوة ، وقال : لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ،^(١) إلى آخر السورة وقال : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، . إلى قوله . . ومن يترلاهم منكم فأولئك هم الظالمون ، . وقال رسول الله صلح في علي عليه السلام : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فمن عاداه الله عز وجل ۞ وأمر بعداوته في كتابه وعلى لسان رسوله ونهى عن ولايته ومحبة ولو كان من الآباء والأبناء والعشائر وكان من الأقرباء ، فحقيق على من عرف الله عداوته بترك الميل إليه والمودة له في ظاهر وفي باطن ، ولا على قرب ولا على بعد ، ولا لرجاء ولا خوف ؛ وقد قال الصادق جعفر بن محمد

[٤٤]

صلوات الله عليه ، من أحب أن يعرف محبنا من مبغضنا فليُنظر إلى أهل مودته فإنه لا يجتمع حبنا وحب عدونا في قلب مؤمن ، وقد قدمت في هذا الكتاب ما يجب على العباد من محبة أولياء الله ، وإخلاص القلوب واعتقاد الضمائر والنيات ؛ فعلى ذلك ينبغي أن يكونوا وعلى ما ذكرناه في هذا الباب من البراءة من أعدائهم واعتقاد عداوتهم ما داموا على النصب والعداوة لهم ، وترك مودتهم والميل والركون إليهم ، لقول الله جل ذكره : « ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار »^(١) ، وأظلم الظالمين من نصب لأولياء الله وعاداهم . وقد ذكر أبو جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه شيعة فقال : « شيعةنا من أدنى البعداء ووالاهم على مودتنا ، وفارق الأهل والأقرباء في عداوتنا ، شيعةنا من إذا رضينا رضى وإذا سخطنا سخط وإذا خفنا || خاف وإذا أمنا آمن ؛ شيعةنا من لا يوالى لنا عدوا ولا يعادى لنا وليا ، وهكذا تكونون يا أتباع أولياء الله المتدينين بإمامتهم ، ويميزوا الناس بقلوبكم وانتقدوهم واعلموا أن جميع الناس ثلاثة أصناف لا رابع لهم ، إلا أن أهل كل صنف منهم يتفاضلون ولا يدرك علم يميزهم حتى يكونوا أصنافا معروفين وعلى طبقات موصوفين ، لتفاوت الهمم والعقول والمعرفة والاعتقاد والأذهان عن هذا التحصيل ، فالطبقة الأولى أهل ولاية الأئمة على درجاتهم في ذلك وطبقاتهم ومنازلهم ، والطبقة الثانية أهل عداوتهم على منازلهم في العداوة وأحوالهم في النصب ، والطبقة الثالثة قوم مستضعفون مذنبون بين ذلك كما قال الله عز وجل : « لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلاً^(٢) ، على أنهم مع ذلك أحسن حالا وإن ساءت أحوالهم من نصب العداوة لأولياء الله . فينبغي لمن ميز الناس وانتقدهم هذا الانتقاد ، وعرفهم هذه المعرفة أن ينزل كل امرئ منهم

[٤٤ ب]

(١) سورة هود ١١ / ١١٣

(٢) الفرقان ٥١ / ٤٤

عنده بحيث أنزل نفسه وأنزله الله فيوالى من يوالى أولياء الله ويعادى من عاداهم ويرشد المستضعف ويهديه ويبصره ، وإن سمع الحق أقبل عليه وأصغى إليه بقلبه ، ويدعو عدوه ويحتج عليه بعمله ، ولا يجعل له حجة عليه ، فيكون فتنة له كما قدمنا ذكره قبل هذا الباب في هذا الكتاب ، ويجرى في ذلك ويمثل فعل إمامه وأمره ، ويسير بسيرته في المبينة والمداجاة والمكاشفة والمدارة ، لا يتعدى في ذلك أمره ولا يتجاوز فيه نهيه ، ويكون اعتقاده على ما قدمنا ذكره . قال أبو جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه ووصف شيعته فقال : شيعتنا من لا يمدح لنا معيباً ، ولا يواصل لنا مبغضاً ولا يجالس لنا قالياً ، إن لقي مؤمناً أكرمه ، وإن لقي جاهلاً هجره ؛ شيعتنا من قال قولنا ، وفارق أحبه فينا ، وأدنى البعداء في حينا ، وأبعد الأقرباء في بغضنا ، شيعتنا المنذرون في الأرض سرج وعلامات ونور لمن طلب ما طلبوا ، وقادة لأهل طاعة الله ، وشهداء على من خالفهم ؛ بمن ادعى دعواهم سكن لمن أناهم لطفاء بمن والاهم سمحاء أعفاه رحماء ، هذه صفتهم في التوراة والإنجيل والقرآن العظيم ؛ إن الرجل العالم من شيعتنا إذا حفظ لسانه وطاب نفسه بطاعة الله وأظهر المكيدة لعدوه بقلبه ، ويغدو حين يغدو وهو عارف بعيوبهم ، ولا يبدى ما في نفسه لهم ، ينظر بعينه إلى أعمالهم الردية ، ويسمع بأذنه مساوئهم ويدعو بلسانه عليهم ، مبغضوهم أولياؤه ، ومحبوهم أعداؤه ، في كلام طويل ذكره صلوات الله عليه . فكونوا كما وصفكم الله وأولياؤه أيها المؤمنون عادوا في الله ووالوا في الله واقعدوا بأوليائكم واتبعوا أمر أئمتكم وأبدوا ما يدونه واعتقدوا ما يعتقدون قائماً جعلهم الله عز وجل لكم أئمة لتأتموا بهم ، وتمثلوا أمرهم وتعادوا من عاداهم ، وتوالوا من والاهم ، وتحبوا من أحبوه ، وتبغضوا من أبغضوه ، من ولي أو عدو أو قريب أو بعيد ، وتعتقدوا ذلك لله ولوجهه

[٤٥ أ]

[٤٥ ب]

فإن ما يكون لله لا يشوبه الهوى ولا يدخله المراء والرياء . وفقنا الله وإياكم
لمحابه وجنبنا وإياكم من خطه .

ثم الجزء الأول من كتاب الهمّة بحمد الله وفضله ||
ويتلوه الجزء الثاني من كتاب الهمّة

[٤٦]

الجزء الثاني

من كتاب الهمّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

(١)

ذكر التسليم وترك الاعتراض على الأئمة فيما يروونه
من يتألفونه من الأئمة

وقد ذكر الله عز وجل المؤلفة قلوبهم في كتابه ، وجعل لهم سهما في الصدقات يتألفون به ذكره في إيجابه ، وجعل للنبي صلى الله عليه وعلى آله في عصره ولكل إمام في دهره ، إعطاءهم من ذلك ما يتألفون على الإسلام به ، وهم وجوه القبائل ورؤساء العشائر الذين يخشى جانبهم ويرجى باستمالتهم استمالة أتباعهم . وقد روى أن عليا صلوات عليه بحث إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ما لا من اليمين فقسمه رسول الله صلح بين الأقرع بن حابس^(١) وعيينة بن حصن وزيد الخليل وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل وهؤلاء رؤساء عشائرهم ، ومقدمو قبائلهم وهم من المؤلفة قلوبهم ، فوجد من ذلك ناس من أصحاب رسول الله صلح وقالوا : نحن كنا أحق بهذا . فبلغ ذلك رسول الله (صلح) فوبخهم فيه وقال : ألا تأمنوني وأنا أمين || من في السماء ، يأتيني خبرها صباحا ومساء . فكسر ذلك منهم ، واعتذروا إليه واستغفروا بما كان منهم ، وأنه صلى الله عليه وعلى آله لما قسم غنائم حنين أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة بن حصن مائة

[٤٦ ب]

(١) في الأصل الأحزم بن حابس

أخرى ، فبلغ ذلك الأنصار فوجدوا منه في أنفسهم وقالوا : آوينا ونصرنا
وبذلنا أنفسنا وقتلنا ، فلما جاءت الدنيا يرثها رسول الله صلح أقواماً قريب
عهدهم بالإسلام لم يدخلوا فيه بحقيقة ولا لهم فيه عناء ولا جهاد وكثر
كلامهم في ذلك ، فبلغ النبي صلح فأرسل إلى سعد بن عبادة فقال : ما كلام
بلغني من قومك الأنصار ؟ فقال : قد كان الذي بلغك يا رسول الله . قال : فما
كان منك أنت في ذلك ؟ فسكت وقال : اتقون . فقال : يا رسول الله ما أنا
إلا رجل من قومي . فجمعهم النبي صلى الله عليه فلما اجتمعوا قال : ما هذا
الذي بلغني عنكم معشر الأنصار ؟ قالوا : قد كان ما بلغك يا رسول الله . فقال :
أما الذي قلتكم انكم أويتم ونصرتهم وجاهدتم فقد صدقتم وإن قلت إني أصبتكم
ضلالاً فهذا كم الله بي ، وأذلة فأعزكم بمكاني ، وفقراء فأغناكم بأسبابي
لقد صدقت : أفما ترضون أني أعطيت قوماً من الدنيا ووكلتكم إلى دينكم ،
وأن الناس ينصرفون بالشاة والبعير وتنصرفون أنتم بي إلى منازلكم
ورسول الله راض عنكم . فبكروا وقالوا : رضينا يا رسول الله فاستغفر لنا
ربك ما كان منا فقال : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . فهذا أمر قد
اعتري قديماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه ضرب الحسد فيه وأغراهم
الشیطان به فغارت أنفسهم بما رأوه من فعل رسول الله صلى الله عليه وعلى
آله بمن رأوا أنهم أحق منهم بما أنالهم منهم وأنهم أقدم جهاداً وأكثر في
الإسلام عناء وأصلح اعتقاداً وإسلاماً فمن أناله رسول الله صلح ما أناله
من أراد أن يتألفه بذلك على الإسلام ويحببه إليه لما رأى صلح وعلى آله
أن له في ذلك للإسلام صلاحاً والمسلمين ، ولم يفعل ذلك صلح إلا عن
أمر ربه وبوحيه جل ذكره ، وبعد أن نطق الكتاب به ولذلك قال لهم صلح
« لا تأمنوني وأنا أمين من في السماء » يأتي خبرها صباحاً ومساءً ، والمزلفة
قلوبهم اليوم أكثر عدداً والأئمة صلوات الله عليهم يمتثلون في أمرهم ||
ما أمر الله عز وجل ومنة رسوله صلح ، ويعطونهم كمثل ما أعطاهم رسول

[٤٧ ا]

[٤٧ ب]

الله صلح ويقرّبونهم ويدنّونهم كما أدنى رسول الله صلح من أدناه منهم ، حتى أنه بسط لبعضهم رداءه فأجلسه عليه وقال : إذا أناكم كريم قوم فأكرموه . ويعفون ويصفحون صلوات الله عليهم عن كثير ممن قدروا عليه ممن نصب لهم وحاربهم وأعان عليهم ، إقتداء بسنة جدّهم محمد صلح وعلى آله فقد ناله من قریش ومن بمكة من الأذى ما قد علمه الله ، فلما أظفّره الله بهم وأظفّره عليهم عفا وصفح عنهم . وكثير من أتباع الأئمة إلا من عصمه الله ينكر قلبه ذلك وتغار نفسه به ، ويعتريه فيه ما اعتري من ذكرناه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله سيما من وتروه ونالوا منه ، أو من كان له معهم موقف في الحرب أو نالته منهم محنة فهو يرى أنه أحق بما نالوه منهم فيحدث بذلك نفسه ، ومن عسى أن يفتشى إليه سره ، فيقولون في ذلك ويكثرون ويتعقبون على الأئمة وينكرون ، وهذا من أعظم وصمات^(١) تدخل عليهم في الدين ، وقد ذكرت فيما تقدم ما يجب || على الأئمة لأولياء الله من التسليم وتلقى ما يكون منهم بالرضا والقبول فيما عرف وأنكر وساء وسر ونفع وضر ، ولو تدبر هؤلاء المنكرون فعل الأئمة ما فعلود من ذلك حق تدبره ، ونظروا بعين الإنصاف إليه لعلموا أن الله تعالى أعزهم بأوليائه وأنعم عليهم بهم وشرّهم بإمامتهم ، ورفعهم بسلطانهم ، وأعزهم بجهانهم كما قال رسول الله للأَنْصار يوم خا طبهم بمثل ذلك . وإن الذي يحتمله أولياء الله من تكلف ما يتكلفونه لمن يتألفونه أشدّ محملاً وأصعب مرتقى من تسليم هؤلاء إن اسلبوا ذلك إليهم لما في ذلك من كظم غيظهم والصفح عن جنى عليهم ، وتعدي أمر الله فيهم وتقديم بالمكروه إليهم وإلى من قبلهم من الأئمة ؛ وأنال أولياءهم المكروه بأسبابهم فيهم . والأئمة (صلح) أغم^(٢) بأوليائهم وما يتألم في ذات الله من أعدائهم من أوليائهم بأنفسهم وذراريهم وآبائهم ؛ وأن جنائهم من غمضوا عن جنائهم وقبلوا رجوعه ولما جته أشد عليهم من جنائهم على هؤلاء المنكرين أمرهم ؛ ولنظرة

[٤٨]

بالمسكروه إلى ولي من أولياء الله أعظم عند الله من قتل ملا من الناس ؛
 [٤٨ ب] ولكن أولياء الله يرجعون في ذلك || إلى أمر ربهم ولا يتعدون ما به
 أمرهم ويقتفون سيرة جدهم وآبائهم ويرجعون إلى ما جبلهم الله عليه
 من الصبر والعفو والإحسان والرحمة ؛ فينبغي لمن اعترض عليه ما قدمنا ذكره
 من إنكار ما يكون منهم في هذا الباب وغيره ، أن يستغفر الله منه ويرجع عنه
 إلى التسليم لهم والرضا بفعلهم وترك التعقب والإنكار عليهم ؛ واعتقاد ذلك
 بقلبه وإخلاص نيته فيه ، ويعلم بأن كل ما يفعله الأئمة صلوات الله عليهم
 صواب ورضا لله وحكمة من حكمه أودعهم إياها وأيدهم بها ووفقهم لها
 فما يدرى متعقب ذلك ومنكره أن ذلك لو لم يفعله أولياء الله عليهم السلام
 وأبقى ذلك المتألف على فتنه أن ذلك المتعقب المنكر يكون صريح تلك
 الفتنة وقتيل حربها وماله غنيمة لها وأهله سباياها ، أعاذ الله أوليائه ومن
 يتولاهم من غلبة عدوهم ، وأظهرهم على من ناوهم وما أكثر ما يريد أولياء
 الله بما يتألفون الناس له إلا للبقيا على أوليائهم وأنصارهم ، وحقن دمائهم
 [٤٩ أ] وترك التعرض إلى المتألف بهم || اشفاقا منهم عليهم وطلبا لسلامتهم ورغبة
 في حفظهم ودعتهم ، إذ كانوا أرف بهم من آبائهم وأمهاتهم ، وأشفق
 عليهم منهم على أنفسهم ، فينبغي لهم معرفة حق ذلك وشكره بمنتهى طاقتهم ،
 وأن يعلموا أن شكرهم لا يبلغ وإن أطبوا فيه بعض حق إنعامهم عليهم
 وإحسانهم إليهم ولا يبقى من ذلك بشيء عنهم ألا أن الله سبحانه قد تعبد خلقه
 بالشكر فيه ، فليقضوا حق ما تعبدهم به . وقد ذكرنا ما يجب من شكر إنعام
 الأئمة فيما قبل هذا ، فاحكموا أيها المؤمنون أمر هذا وما هو في معناه وما
 يجري مجراه من أنفسكم وخذوها به وجاسبرها عليه ، وادفعوا عنها ما اعترض
 عليها منه بالنظر فيما ذكرنا وتمثيل ما مثلناه ، واعلموا أن لأولياء الله فيما
 استرعاهم الله عز وجل من أمور عبادته نظرا يهديهم إلى الصواب فيه ،
 وتديرا يوفقهم إلى الرشاد ، وفعلنا بحسن العواقب لهم وللعباد من أجله ،

تتكبره قلوب كثير من العباد كما أنكر موسى عليه السلام ما كان من العالم وهو صواب عند الله ، وقد قدمنا في الباب الذي أجرينا ذكر ذلك فيه ما يدخل في هذا المعنى ويلبغى استعماله فيه || والله الموفق للصواب برحمته والتوفيق بكرمه .

[٤٩ ب]

(٢)

ذكر الأمر بخبر ما وافق الأئمة صلوات الله عليهم

واللهي عن إتيان ما مخالفهم

ينبغي لأتباع الأئمة صلوات الله عليهم أن يردبوا أنفسهم ويأخذوها في سرهم وعلايتهم بما وافق أئمتهم ويحذروا خلافهم ، فقد قال الله عز وجل لمن قرن طاعتهم بطاعته وأوجب لهم من الحق من ذلك ما أوجبه له ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ^(١) ، وليعلموا أن احتمال الأئمة صلعم إياهم على خلاف الموافقة إن احتملوههم على ذلك احتمال مشقة واستتقال وفي ذلك سوء العاقبة في عاجل الدنيا أو في أجل الآخرة أو فيهما معا ، فمن ثقل وشق عليهم فقد استحق مقنتهم وتعرض لعقوبتهم ومقت الله وعقوبته . وقد قيل إن الإنسان الثقيل أثقل من الحمل الثقيل ، لأن الحمل الثقيل يحمله البدن والإنسان الثقيل إنما يحمله الروح والروح أشرف من أن يحمل ثقلا سيما أرواح الأئمة التي طهرها الله وشرفها وعظمها وكرمها ، فالحذر الحذر عباد الله من الجنابة عليها بغير ما وافقها ، فإن ذلك أعظم في الإثم وأخوف من العقوبة ؛ وقل إنسان من سائر الناس يحتمل غيره على خلاف موافقته || وإن احتمله لم يحتمله إلا عن مشقة وبغضة واستتقال له ، ولو علم أحدكم هذا من نفسه عند من يساويه من الناس ويشاكلة ، أو من هو

[٥٠ ا]

دونه لكان ما يلغى له أن يتلافى ذلك من نفسه ويحذر منه ولا يعرضها للبعض
والثقل عند أحسن الناس ، فكيف بأن يعرضها لذلك عند من يرجون في الدنيا
ثوابه وفي الآخرة شفاعته ، ويتوقعون خوفه ويحتلبون تبعاته ، وكيف لا تعلمون
أنفسكم فيما يقربكم منه ويزلفكم لديه ويحييكم إليه ويزكيكم عنده ، وفي ذلك
لكم خير الدنيا والآخرة والأمن من عقابهما ، فأجهدوا أنفسكم في التحفظ
من هذا وما هو في معناه غاية الجهد ، وتحفظوا منه نهاية التحفظ ، وارعوه
حق الرعاية تظفروا بخير الدنيا والآخرة ، واعلموا أن معرفة الإنسان نفسه
في هذه الأحوال إنما يدرك ما يدرك منها ويعرفه بمقدار ما فيه من العقل
والحاسة والنباهة والأدب واليقظة ، والناس يتفاضلون في ذلك بمقدار
ما خول الله عز وجل كل امرئ منهم منه وخصه به وجعله فيه ، ولا
يكلف الله نفساً إلا ما آتاها || ولكن يلغى لكل امرئ منهم بذل المجهود
[٥٠ ب] في تحرى الصواب على كل الأحوال ، واستعمال مالا شبهة فيه وترك ما فيه
الشبهة ، فقد قال رسول الله صلعم : الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور
مشتبهات فذع ما يريبك إلى مالا يريبك ألا إن لكل ملك حمى وحى الله محارمه
ويوشك من يرعى حول الحمى أن يقع فيه ، وفي هذا وقبوله عن رسول الله
(صلعم) أدب وصلاح في أمور الدين والدنيا ، فينبغى للؤمن أن يجرى
أمره كلها على هذا المجرى ، فما علمه ولم يشك فيه من خير أتاه ومن سوء
اجتنبه ، وما شك فيه فلم يدر أخير هو أم شر أو حلال أو حرام توقف عنه
ولم يقدم فيه على شبهة ، فعلى هذا ينبغى لمن أراد التقدم في أمر من أمور
الآئمة صلوات الله عليهم ويعلم أنه يثقل عليهم أن يتأخر عنه ولا يتقدم فيه
وإن علم أنه يخف عليهم ويقع بموافقتهم تقدم له ، وما شك فيه من ذلك
توقف عنه إلا أن يضطر إليه ، ولا يقف على صحيح علم فيه ولا يجد بدا منه
فيقدم للمعذرة إلى إمامه ويسأله العفو عن خطأ إن كان في ذلك منه فإن في
تقديم الاعتذار في ذلك ما يوجب التخفيف || وقد قيل لبعض أهل الأدب [٥١ أ]

متى يكون الإنسان خفيفاً على القلب ؟ قال : إذا اعترف وأخبر أنه
ثقیل . وهذا من باب الاعتراف ، والمعترف بالذنب يميل له القلب . وقد
قيل إن المعترف بالذنب كمن لا ذنب له وقد قال الله عز وجل : « وآخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب
عليهم ^(١) » ، وقد قيل إن [عسى] من الله وعد ؟ والله كما قال لا يخلف الميعاد .
والإعتذار توبة ، وقد قال الله تعالى « إن الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين » ، ومن أحبه الله حبه لخلق . وكذلك ترك التحفظ والمجوم على
الشبهات كالإصرار على الذنوب ، على أن ما ذكرناه من هذا الوجه لا يلغى
الاعتذار إلا عند الاضطرار كما قدمنا الشرط فيه وليس ينبغي استعماله
في كل الأحوال ، فليس المعتذر ولا التائب من الذنب في الحقيقة كمن لا ذنب
له ولكن التوبة تمحيص وقد أحب الله التوبة ولم يحب أن يعصى ، فمن
وجد مندوحة عما اشتبه عليه أو على ما أيقن بالخطأ فيه فينبغي له التخلف
عنه والدخول فيما لا خطأ ولا شبهة فيه ، وما ينبغي || الاحتراس منه واليقظ
له أن يحذر كل الحذر من قرب من الأئمة أو بعد أن يرى أن له ذماماً
عندهم أو حرمة توجب حقاً عليهم أو عملاً يستحق له الثواب منهم فإنه
بما توسوس به النفوس من هذا وتميل إليه الخواطر الردية هلك من هلك .
وإنما جعل الله عز وجل الحق والحرمة وأوجب الذمام على جميع الأمة لأولياء
الله الذين تعبد العباد بطاعتهم . وجعل الحق والواجب لهم وأثاب عباده على
القيام بذلك وعاقبهم على تركه فمن أحسن في أمرهم فلنفسه أحسن وبما
أوجب الله عليه واقتضاه قام وثواب ربه على ذلك يرجوه ؛ فينبغي لمن وفق
لذلك حمد الله عليه والاعتراف بالعجز والتقصير . وإن بالغ في الاجتهاد فيه
فإن حق الله وحق أوليائه لا تدرك غايته . ولا تنتهي نهايته ، وحسب المجتهد
فيه بلوغ مجهوده واستفراغ طاقته ولو بذل المؤمن في طاعة أولياء الله

[٥١ ب]

وخدمتهم والسعى لهم منتهى جهده ووسع طاقته عمر الدنيا كله لم يف
بواجبهم ولم ينته كنه حقهم وإنما يبلغ العباد رضاهم بفضلهم عليهم
وتطولهم برضاه عنهم ويقبلون ما يقبلونه من أعمالهم لعلهم يا خلاص
النيات وبذل المجهود لهم || لا أن ذلك منتهى حقوقهم ونهاية واجبهم وكل
من قربت منهم عند نفسه وسيلته ومست رحمته ودنت فيما يرى ذريعته
فهو في الواجب في ذلك عليه والبعيد الذي لا سبب له بمنزلة واحدة لأن
فرض الله على عباده واحد لا فضل فيه لقريب على بعيد ولا لفاضل على
مفضول وأقرب الناس إلى الله وإليهم صلوات الله عليهم من قربته أعماله
الصالحة منهم فافهموا رحمكم الله هذا الباب وتدبروه ، وخذوا أنفسكم
بما فيه وبكل أدب صالح تسمعون ، وفقنا الله وإياكم إلى ما يرضيه .

[٥٢]

(٣)

ذكر نهى أتباع الدعوة عن الحسد والبغى والشر

والحقد وسوء الظن

أما البغى فقد تكفل الله بالنصر على أهله ، ومن نصر الله تعالى عليه
فهو لا محالة مغلوب في العاجلة وفي منتهى الأجل منكوب . قال الله تعالى :
« ومن بغى عليه لينصرنه الله ، فإياكم والتهاون بوعيد الله والاستخفاف به
بأن لا تروه نزل عاجلا لمن تواعده الله به ، فإنما يعجل من يخاف الفوت ،
ويخشى أن يسبقه إلى من يريده الموت ، ومن أمهله الله عز وجل وأمل له
في دنياه أخذه بالوعيد إن شاء بعد أمد أو في أخراه ، وعذاب الله
أشق || وأشد كما قال الله تعالى وأبقى ، وقد جاء أن رجلا قال للصادق
جعفر بن محمد صلح : يا بن رسول الله صلح ما معنى قول الله تعالى : « يحق
الله الربا ويربى الصدقات ، وقد نرى كثيرا ممن يعمل بالربا يربو ماله ولا تمحق ،

[٥٢ ب]

فقال صلح له : وأى محق يكون أمحق من مال ربا إن تاب منه صاحبه رده وأخرجه من يده فتمحق ، وإن لم يتب منه أدخله النار فأحقه . فكذلك وعيد الله عز وجل للباغي بالنصر عليه إن عجل الله ذلك له غلب لأن الله عز وجل يقول : « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » ، وقد وعد بالنصر من بغى عليه ، وإن أخر النصر والانتقام إلى الآخرة فعذاب الآخرة أشد كما ذكر ، والمتصور فيها من نصر ونصر الله عز وجل قد يكون عاجلا أو آجلا لأنه لم يأت الوعد به مؤقتاً ، وهو جل ثناؤه لا يخاف فوت من أراحه ، ولا يعجزه من قصده . فالخذر الخذر من البغى وأعظم البغى ذنباً ، وأشدّه عقوبة ما كان على الأئمة صلح فمن بغى عليهم وشاقهم فقد شاق الله ورسوله لأن البغى عصيان ، وقد قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله ، ومن عصيهم فقد عصى الله ورسوله ، ثم أشد البغى بعد ذلك على أوليائهم المؤمنين . وإن كان البغى كله منهيّاً عليه لخوف وعيد الله فيه || وقد قال رسول الله صلح : « لو بغى جيل على جيل لجعل الله الباغي منهما دكاً » . فهذا من قول الله تعالى : « ومن بغى عليه لينصرنه الله » . وقد أمر الله عز وجل بجهاد من بغى على الأئمة وعلى المؤمنين في كتابه إذا نصبوا لهم ، والبغى يكون بالمناسبة والمخاربة والسعى والأذى ، وإنما يلزم اسم البغى من ظلم والسعى بالباطل والكذب ؛ وأما المحق وقائل الصدق ومن كان من أهل العدل فليس ينسبون إلى البغى ولا يدخلون في جملة أهله . ومن عظيم البغى وكبيره ما بغى به البراءة عند الأئمة وقذفوا به بما لم يفعلوه ، ونسب إليهم من المكروه بما لم يأتوه ، ووصفوا بما ليس هم عليه ، إن في ذلك ذنب البغى وذنب الجرأة على الأئمة بقول الباطل عندهم ورفع الشبهات إليهم . وكذلك الحسد أعظمه وزراً وأغلظه ذنباً ما حسد به الأئمة صلوات الله عليهم . قال الله تعالى : « أم يجسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً » وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه

نحن الناس المحسودون الذين عني الله بهذا ، حسدنا على ما آتانا الله من الإمامة وهي الملك العظيم الذي ذكر الله عز وجل ، . وقال عليه السلام : الحسد رأس كل خطية ، وهو أول ذنب كان في السماء وأول ذنب كان في الأرض وأول ذنب كان في الإنس وأول ذنب كان في الجن || وذلك أن إبليس حسد آدم فكان ذلك سبب معصيته ، وحسد أحد ابني آدم أخاه لما تقبل قربانه دونه فقتله ، وقال في قول الله عز وجل حكاية عن أهل النار : « ربنا أرنا الذين أضلنا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين »^(١) قال أرادوا إبليس وقايل لأنهما أول من سن المعصية وركب الخطيئة من الجن والإنس فكان سبب ذلك الحسد . وكذلك من أنكر نبوة الأنبياء وإمامة الأئمة ونصب لهم ، وتقلب دونهم فإنما سبب ذلك أنه حسدهم على ما أعطاهم الله ، وأحب أن يكون ذلك له دونهم ، وكذلك يجري هذا المجرى من نafs غيره في حظه فسعى في إزالته عنه ، ومن سرق مال أحد وأفسد أهله أو ما يجري هذا المجرى من الذنوب فإنما أصل ذلك أنه حسده فيما آتاه الله وأراد أن يكون له دونه ، وذلك قول الصادق جعفر بن محمد صلعم : الحسد رأس كل خطية ، وذلك مع ما في الحسد من الغم والكمد ، ولذلك قال بعضهم : ما رأيت ظالماً أشبه بالمظلوم من الحاسد .

وكذلك من كبائر الحسد حسد من حسد أحد الفضلاء من فضل الأئمة عليه ؛ لأنه يدخل في ذلك مع ذنب الحسد ذنب الإنكار على الأئمة فعلهم ، لأن ذلك الحاسد يرى أن الذين أنعموا عليه ليس بأهل النعمة ، وأن فعلهم ذلك به غير صواب ، فهذا ذنب عظيم أيضاً مع ذنب الحسد . وكذلك الشره وهو مكروه ومنهى عنه ، وهو في الحرام أغلظ إثماً وأكثر وزراً وهو في أموال الأئمة صلوات الله عليهم أشد || تغليظاً وإثماً على ما قدمنا ذكره في خيانتهم والتعدي عليهم ، وإن إثم ذلك يفوق على الآثام وذنبه يجاوز الذنوب ،

وكذلك سوء الظن مكروه ومنهى عليه ، وأعظمه سوء الظن بالله جل ذكره
وقال تباركت أسماؤه . « الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله
عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً ، ثم يتلو ذلك في التعليل سوء
الظن بأنبياء الله وأوليائه الذين قرن طاعتهم بطاعته ، ثم بالمؤمنين من أوليائهم
قال الصادق جعفر بن محمد صلح : حرم الله دم المؤمن وعرضه وماله وسوء
الظن به . وكذلك الحقد منهى عنه ومذموم فعله بين المؤمنين ، فإن تعدى
ذلك إلى الأئمة كان حوباً عظيماً ، وإثماً كبيراً يخرج من حد الإيمان ويوجب
النفاق . فالحذر الحذر عباد الله من هذه الخصال المذمومة والأفعال
الردية وارتكابكم إياها بقول أو عمل أو نية ؛ أو تنظروا إليها وإلى أهلها
بعيون الإعجاب ، أو تصغوا إليهم بأذان الإقبال ، فإن الله عز وجل يقول :
« إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً ، فأخلصوا || لله
ولرسوله ولأوليائه أعمالكم ، واصفوا لهم ولجميع المؤمنين ضمائرهم ، واجعلوا
عليكم في ذلك رقيباً من أنفسكم في علانيتكم وسرائركم ومشاهدكم وخلواتكم ،
فقد قيل إن كمال الدين والآداب والمروءة استحياء المؤمن من نفسه . وهذا
إذا وجه على وجهه كان ذلك لأنه إذا استحيا من نفسه كما يستحي من الناس
لم يأت محرماً ولا عيباً ولا مكروهاً يستحي من الناس فيه أن يأتيه عن عليهم
ومشهدهم ، ومن لم يستحي من نفسه واستحي من الناس فقد هانت نفسه
عليه فهو على الله وعلى عباده أهون . فحاسبوا أيها المؤمنون أنفسكم هضم
الحاسبة وانتقدوا عليها هذا الانتقاد ، وانظروا في عيوبها بمثل هذا النظر
فإنه من لم ينظر في عيب نفسه نظر الناس في عيوبه . وفقنا الله وإياكم لما يرضيه
ويحظى به لديه .

[٥٤ ب]

(٤)

ذكر الله صراطاً مستقيماً بالتواضع لله تعالى ولهم رطاح الكبر
والأنفة وإعطاء المحي الذي يلزمهم

التواضع لله ولأوليائه باب من أبواب العبادة ، والكبر والأنفة في ذلك
وغيره - إلا عن المكروه - من الدلائل على لؤم الطباع وخساسة الأنفس
وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من تواضع لله رفعه الله . وقال : ما من
عبد || - أو قال آدمي - إلا ورأسه بيد ملك ، فإن تواضع لله رفعه وقال ارتفع
رفعك الله ، وإن تكبر خفضه وقال انخفض خفضك الله . والزهو والكبر
[١٥٥] والإعجاب بالأنفس والأعمال من خطوات الشيطان ، وذلك مكروه قبيح فعله
واستعماله مع سائر الناس ، وهو مع الأئمة أشد قبحاً وأكثر نقیصة وإثماً ،
وكيف يعجب معجب بعمل يعمله لأولياء الله ، أو بعناء أو بجهاد يكون معهم
في سبيل الله أو ما كان من مثل ذلك مما دخله من أجله الزهو والإعجاب بنفسه
وبعمله ذلك الذي أعجب به وهو إنما سعى في ذلك لنفسه وعمل لحظه وقدم
لمعاده ، وإن كان ممن فعل ذلك لوجه الله جل ذكره ، فله ولأوليائه في ذلك المنة
عليه ، وقال تعالى : « يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله
يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين » ^(١) وإن كان ما عمل من ذلك
عن رزق أعطيه أو جارية أجريت عليه ، فإنما هو بمنزلة الأجير فيه وإن وفى
بأجرته فقد قضى ما عليه ، وإن زاد فثواب ذلك له وإن نقص فإثم عليه ،
وإن كان الذي فعله من ذلك تبرعاً ليقرب حاله به ، ويذكر بما كان منه فيه
فقد كان من ذلك ما كان ، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأمر الله
عز وجل برجال يوم القيامة إلى النار ، فيقول قوم منهم || ربنا إننا كنا

من يجاهد في سبيلك ، ويقول آخرون : ربنا إنا كنا من يدمن حج بيتك ،
ويقول آخرون ربنا إنا كنا من ينفق ويصلي ويتصدق لوجهك ، فيقول الله
عز وجل : كذبتُم إنما فعلتم ذلك ليقال ما أشجع فلانا ، وما أكثر حج
فلان ، وما أسمح فلانا ، فقد قيل ذلك ، اذهبوا بهم إلى النار ، ثم يقول
عز وجل : إني خير شريك فمن أشرك معي في عمل يعمله غيري أسلته لمن
أشركه فيه معي . ففي أي حال كان هذا المعجب من هذه الأحوال فقد هلك
بإعجابه إذ لم يعرف قدر نفسه ، ولذلك قيل ما هلك امرؤ عرف قدره .
فأما من أتف من أتباع الأئمة صلوات الله عليهم عن الإنصاف في الخصام ،
ومساواة من خاصمه عند القضاة والحكام ، وفي السلم من عدو أو ولي أو
ذمي يرى أنه له فضل في ذلك عليه وأن قربه من أولياء الله يوجب له مالا
يجب مثله عليه فتكبر لذلك وذهب بنفسه وعَنِدَ عن الحق واستطال على
خصمه فإنه لم يعرف فضل نعمة الله في قرب أوليائه عليه ، ولا ما أوجب
الله من الحق فيه إذ ظن أن ذلك يوجب الحيف له ، والميل إليه ولو عرف
نفسه ، وعلم أن قربه من أولياء الله لو لم يكن له لكان عند خصمه أهون منه عنده
فوجب أن يساويه ولا يستطيل بسلطان أولياء الله عليه ، وهم أهل العدل بين
عباد الله والتسوية في حقه بين خلقه ، كما أمرهم بذلك جل ثناؤه ، ولا ينسب
الحيف عند الجهال بهم || إليهم ، ويقيم لهم الحجة بذلك عندهم عليهم ،
ويوهمهم أن ذلك من أمرهم ورأيهم ، وقد برأ الله الأئمة من الجور ونزههم
عن الظلم ففاعل هذا في الإثم كالناصب لهم والباغى عليهم ، إذ كان قد تعدى
أمرهم وعدل عن حكمهم واستعمل سلطانهم في خلاف ما أمر به ، وسلك
به غير السبيل الذي به سلكوه ، فعليكم عباد الله بالتواضع لله ولأوليائه
واطراح الكبر والأنفة في حقوقه ، والمساواة في ذلك لمن نازعكم والعدل فيما
بينكم وبين من طلبتم بحق أو طالبكم فان ذلك مما يرفع من أقداركم ، ويعظم
ثوابكم به عند ربكم ، ويحسن فيه ثناء الناس عليكم ، ويشكرون له سير أئمتكم

ويعلمون أن ذلك عن أمرهم إياكم ، ومن عدلهم فيما بينهم وبينكم ومتى لم تفعلوا ذلك كنتم على ضد هذه الأحوال ، وبؤستم بالإثم وتعديتهم في الأفعال ، أعاذنا الله وإياكم مما يوجب سخطه ، ووفقنا الله معاً لما يزكو لديه وعنده .

(٥)

ذكر الأمر لاتباع الأئمة بالحلم والعفو والوقار والسكينة

الحلم والسكينة والوقار والعفو سيماء المؤمنين الأبرار ، وقد وصف الله عز وجل نبيه بالحلم في كتابه فقال : **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيمَ** . فأتى عليه وقال لنبيه محمد (صلح) : **« خذ العزو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما يزنيك من الشيطان نزع فاستعن بالله إنه سميع عليم »** ^(١) وقال : **« هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم »** ^(٢) وقال : **« لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً »** وقال تعالى : **« وليعزوا وليصنعوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم »** ^(٣) وقال في المؤمنين : **« رحماء بينهم »** .

[٥٦ ب]

فيذنبني لأتباع الأئمة أولياء الله أن يتأدبوا بأداب الله وأن يكونوا كما وصفهم الله في كتابه حلياء رحماء أهل سكينة ووقار في العلانية والأسرار . فذلك شرف وزين لهم في العاجل ، وذخر وثواب في الآجل ، وأوجب ما تزينوا بذلك واستعملوه واعتقدوه وأخلصوا فيه لأئمتهم وولاة أمرهم ، الذين تضاعف لهم الحسنات فيما أتوه من الخير عندهم كما تضاعف العذاب لمن أتى بالمنكر إليهم على ما قدمنا ذكره في غير باب من هذا الكتاب . فأحق ما رغب فيه الراغبون وأوجب ما سعى له الطالبون ما ضوعف أجره للعاملين

(٣) الفتح ٤٨ / ٩

(٤) النور ٢٤ / ٢٢

(١) الأعراف ٧ / ١٩٩ - ٢٠٠

(٢) الفتح ٤٨ / ٤

وحسن به الذكر وطاب به الخير في الغابرين ، وكانت به النجاة والفوز في يوم الدين ، وأحق ما اجتنبه من نظر لنفسه ، وعرف حق أمته وسعى لآخرته أضداد هذه الخصال في النيات والمقالات والأعمال من السفه الذي هو ضد الحلم ، والبطش بالعقوبة فيما العنوفيه أجمل والحلم عنه أفضل ، والقسوة التي هي ضد الرحمة فيما يبتغى الرحمة فيه ولمن لا تحب القسوة عليه والبطش والنزق اللذين هما ضد الوقار والسكينة ، واجتناب هذه || الأخلاق الدنية ، والأفعال المذمومة في جميع الخلق فيه فضل وبر ، وارتكابها فيه إثم وعار وشين ونقص ، وذلك فيما يكون من أمور الآئمة وأوليائهم أعظم ثوبا وأغلظ إثمًا .

[٥٧]

(٦)

ذكر ما ينبغي لأتباع الآئمة فيما بينهم من التعاطف والتواصل

والتواضع والتبذل

التواصل والمودة والتبذل بين الإخوان في ذات الله عمل عظيم ، ثوابه جزيل أجره في الآجله ، ويكسب أهله حسن الذكر والثناء وطيب الخير في العاجلة ، وقد جاء عن رسول الله صلعم أنه قال : ينادى منادى يوم القيامة أين أهل الصبر ؟ فيقوم طائفة من الناس فيأمر بهم إلى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون : ما صبركم هذا الذي أوجب لكم الجنة ؟ فيقولون : كنا نصبر أنفسنا على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله . فيقولون لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادى منادى أين أهل المعروف ؟ فيقوم طائفة من الناس فيأمر بهم إلى الجنة فتستقبلهم الملائكة فيقولون : ما هذا المعروف الذي أوجب لكم الجنة فيقولون : كنا نغفر عن ظلمنا ونصل من قطعنا ونعطي من حرمننا . فيقولون لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ، ثم ينادى منادى : أين جيران الله في دار السلام ؟ فيقوم طائفة من الناس فيأمر بهم إلى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون :

[٥٧ ب] ما فضلكم هذا الذي جاوِرتُم الله به في دار ۞ السلام ؟ فيقولون : كُنَّا نَتَحَابُّ في الله ونَتَرَاوِلُ في الله ونَتَبَاذِلُ في الله . فيقال لهم : ادخلوا الجنة فَنَمَّ أَجْرُ الْعَامِلِينَ .

فهذا الثواب الذي لا ثواب كمثلُه ، وكذلك قليل من يفعل مثل هذا يحب أخاه لا يحبه إلا الله ، ويواصله لا يواصله إلا الله ، ويبذل ماله لا يبذله إلا الله ، وهؤلاء من الذين قال الله عز وجل : إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ، وما أَكْثَرُ ما يتحَابُّ الناس ويتواصلون ويتباذلون إِلَّا تَصْنَعُوا وَمُكَافَاةٌ بَيْنَهُمْ ورياء وسمعة ، وأفضل ذلك ما يشوبه شيء من طلب ثواب الله ، فأما أن يكون ذلك محضاً يراد به وجه الله لا غيره فأهل ذلك قليل كما قال جل ثناؤه ، ويدبني لمن نَافَسَ في الفضائل أن يخلص هذا إذا كان همه وعمله كله لله وينويه لوجهه ويخلصه لطلب ثوابه ، ويجعل أفضل ذلك في اعتقاده ونيته وطويته فيما يكون للأئمة صلوات الله عليهم ، إذ كانت الحسنات تضاعف في ذلك ، وإذا أوجب الله تعالى جواره في دار السلام لمن أحب مؤمناً ووصله ، ففاعل ذلك للإمام أخرى أن يكون ثوابه أكبر وأجره على الله أعظم أضعافاً مضاعفة إذا نوى ذلك - كما ذكرنا - واعتقده لوجهه وأخلص نيته فيه ، وما أيسر أمر الاعتقاد لمن وفقه الله للرشاد مثل أن يجعل من مشى إلى قصر الإمام مرتباً كان في ذلك أو متعاهداً إن ذلك السعي وصلة لإمامه

[٥٨ أ] وزيارة يريد بها وجه الله وثوابه لا ينوى بذلك غيره ، وإن ۞ كانت له مع ذلك حاجة هناك لم يضره ذلك مع جميل اعتقاده ، كما لم يجعل الله جناحاً على من ابتغى الفضل من حبيج بيته القاصدين إليه لا بتغاء ثوابه وكذلك يجعل ما يصلهم به ويدفعه من الواجب عليه في أمواله ، وما تطوع به لله ولوجهه لا يريد رياء ولا سمعة ولا يجعله لأمري أني إن لم يفعله نقص عندهم ، وأخل ذلك به لديهم ، وإن أحبهم لأمراً كان ذلك الحب له جعله الله جل ذكره وابتغاء ما عنده ، وكذلك يجعل جميع أفعاله لهم من جهاد أو خدمة أو نصيحة

أو قول أو فعل ينوى به وجه الله لا يشوبه بغيره ؛ ولقد أفادني بعض من لا اعتقد مذهبه ولا أرضى قوله وحكمه ، وأنا حديث السن يومئذ وهو شيخ ونظر إلى أجمع الكتب وكتبها واشتغل بها فقال لي : يا بني اني أفيدك فائدة . قلت هات . قال : إن الإشتغال بهذه الكتب يحول دون كثير من أعمال البر وهي شهوة لا يقدر من علق بها على تركها لغيرها ، فاجعل نيتك إن عملك فيها واشتغالك بها لله وطلب ثوابه يكون ذلك لك عمل بر . ففتح لي من هذا وجها إن لم يكن على الجملة كما قال فإنه يوجب أن يكون كما قال فيما وافق الحق لأنه ليس من كتب ونظر واشتغل بعلم باطل ينوى به ما عند الله ، وأن الله يقبل ذلك ويثيبه عليه بل يعذبه على الباطل ويؤثمه في اشتغاله به ، ولكن من فعل برأ وخيراً فنوى به ثواب الله وقصد به وجه الله ۖ أثابه الله عليه ، وإن عمل ذلك رياء وسمعة لم يقبل منه ، وكان لما عمله له كما قال رسول الله صلح : إنما الأعمال بالنيات إنما لكل امرئ ما نوى . فمن هاجر إلى الله وإلى رسوله فهجرتة إلى الله ورسوله فمن هاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرتة إلى ما هاجر إليه ، فإنما أراد صلح بالأعمال ههنا أعمال البر إذا كانت صحتها النية الصالحة فأما من عمل سوء وأراد به الخير لم يقبل منه بل يعاقب عليه . وقد قال رسول الله صلح : نية المؤمن خير من عمله . . وتفسير ذلك والله ورسوله أعلم أن العمل بلا نية غير مقبول ، ولو أن رجلاً أمسك عن الطعام يوماً أكله ولم ينو بذلك الإمساك الصوم لم يكن صائماً ، ولو خرج إلى مكة وقت الحج وشهد المناسك كلها ولم ينو الحج لم يكن حاجاً ، ولو قام وركع وسجد ولم ينو الصلاة لم يكن مصلياً ، وكذلك كل عمل ، فالعمل بغير نية لا ينفع ولا يقبل وإنما يكون عملاً إذا كانت معه النية ، والنية وحدها تنفع بلا عمل . قال رسول الله صلح : من نوى أن يعمل حسنة كتبت له فإن عملها كتبت له عشر حسنات ، فلذلك والله أعلم كانت نية المؤمن أفضل من عمله لأنها تنفع دون العمل ، والعمل لا ينفع بغير نية ، ولذلك قال قائل لبعض

[٥٨ ب]

الائمة فيما أحسب : أمن العدل أن يعصى الله عاصي أو يذنب إليه مذنب مدة قليلة في دنياه فيعاقبه | في الآخرة عقوبة الأبد ، قال : نعم لأنه كان ينوى أنه لو عمر الأبد لكان على تلك المعصية إذا مات مصراً عليها غير تائب عنها . وهذا باب من العقوبة بالنية السوء . كما أن الثواب بالنية الصالحة . وقد قال الله تعالى : « الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء » و« غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً »^(١) فالظن توهم بالقلب ونية واعتقاد لذلك الظن وقال عز وجل : « وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً »^(٢) فأعاب ذلك الظن عليهم . فينبغي على هذا أن لا يعتقد المرء ولا يظن ولا ينوى إلا خيراً فيما يكون من أمر الله وأمر أوليائه وأمور المؤمنين من عباده ، وأن ينوى كل عمل يعمل به من أعمال الخير لله ولوجهه ، فعليكم أيها المؤمنون بهذا الأدب الصالح فاستعملوه ، واخلصوا المودة لأئمتكم وإخوانكم من أوليائه وتحابوا وتواصلوا على ولايتهم ومودتهم واحذروا التدابر والتقاطع والتباغض لأوليائكم وإخوانكم والبخل فيما أوجب الله عليكم في أموالكم ، وفقنا الله وإياكم للخير وأعانا [وإياكم]^(٣) عليه ، وفتح لنا في عمله وهدانا إليه [وإياكم]^(٣) .

(٧)

ذكر ما ينبغي لمن براه الاثمة صلوات الله عليهم من أتباعهم
صحة التجميل واظهار النعمتين أكبرهم

قد أوجب الله في كتابه وعلى لسان رسوله صلح اظهار نعمته سيما في المواضع التي يتقرب بشهودها اليه فقال || جل ثناؤه : يا بني آدم خذوا زينتك

[٥٩ ب]

(٢) الأحزاب ٣٣ / ١٠-١١

(١) النج ٤٨ / ٦

(٣) هكذا في الأصل ، والصواب وإياكم .

عند كل مسجد^(١). وقال رسول الله صلوات الله عليه : من أنعم الله عليه بنعمة فليثرها عليه . وجاء في اللباس والتنظيف والتعطر للشاهد التي تشهد لا بتغاء ثواب الله فيها أخبار يطول ذكرها، ومشاهد الأئمة صلوات الله عليهم ومجالسهم فيلبيحى لمن أراد شهودها أن ينظف شعره وأطرافه ويلبس أفضل ما عنده من لباسه ، ويتطيب بأحسن طيب يجده ، ويظهر نعمة الله عليه ونعمة أوليائه لديه وعنده سيما إن كانت منهم وعلى أيديهم فحقهم التجميل بها في مجالسهم ومقاماتهم ومحافلهم ومسائراتهم ، وذلك من تعظيمهم واجلال أمورهم كما أوجب الله على من قام إلى الصلاة أن يتوضأ لها ويأخذ زينته لها ، لأنه يأتي بيته ويقوم بين يديه تعالى ؛ وكذلك يلبيحى لمن أتى أولياء الله متقربا بهم إليه لأنه في أطراح ذلك والتهاون به وحضوره بلا استعداد لهم ولا تأهب للقائهم تهاون بأمورهم ، ومن تهاون بشيء من أمور أوليائه فقد تعرض لمقت الله وعقوبته ، ولما || في التنظيف من السنة ولأن النظافة من الفطرة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : إن الله يحب النظافة ويبغض العبد القاذورة^(٢) فيلبيحى استعمال ما أحبه الله تعالى وترك ما كرهه على كل الأحوال ، وأكد ذلك وأوجبه وأحسنه وأفضله وأجله ما استعمل لاجلال أولياء الله الذين يتقرب بهم إليه ، ويرجا شفاعتهم لديه .

[٦٠]

(٨)

ذكر اللذاب في السلام على الأئمة صلوات الله عليهم

والكلام بين أيديهم

تعظيم الأئمة صلوات الله عليهم من تعظيم الله عز وجل، إنه إن ما يراد من تعظيمهم طاعته وبيته في مرضاته لا شريك له ، وقد رأينا أوصيائهم وولاة

(١) الأعراف ٣١/٧

(٢) يقال رجل قذور وقاذور وقاذورة وذو قاذورة لا يحالط الناس لسوء خلقه والقاذورة الشيء الخلق .

عبردهم يتبلون الأرض في سلامهم عليهم بين أيديهم لإجلالهم وعلمهم
 بقدرهم ومعرفة بما أوجب الله لهم ، فأتباعهم أحق من اقتدى في ذلك بهم
 ويتقرب إلى الله بتعظيم أوليائه غير مستكفين ولا مستكبرين عنه ، والرعا
 وأوباش الناس والعوام ينكرون ذلك ويرونه سجودا من دون الله لهم تعالى
 عن قولهم ونزه أوليائه عن افتراءهم عليهم ، وللسجود حقيقة هي غير تقيل
 الأرض عند كل من نظرهم شيء من العلم من مؤالف || أو مخالف ، لا يرون
 من قبل الأرض في صلواته ساجدا حتى يأتي بحقيقة السجود على جبهته وأنفه
 وينويه نية سجوده على أنه لو سجد ساجد لولى من أولياء الله إعظاما لله لم
 يكن ذلك بمنكر ، فقد ذكر الله عن أبوى يوسف وأخوته أنهم خرخوا له
 سجدا فلم يعب ذلك من فعلهم ، وأعاب الذين يسجدون للشمس من دون الله
 وقال : لا تسجدوا إلا لله . فانما نهى عز وجل عن السجود لأحد من دونه
 يتخذها لها معبودا ، فاما السجود تعظيما له فهم ينه عنه ، فالذى نهى عنه رسول
 الله صلح من السجود إليه من اقتدى في ذلك بما رآه من الحبشة الذين يسجدون
 للملوكهم فاولئك انما سجدوا لهم من دون الله لانهم مجوس لا يعرفون الله
 تعالى ، فنهى النبي صلح عن الاقتداء بهم . على أنا لم نقل إنا نسجد للائمة ولا
 أنهم أمروا صلوات الله عليهم بالسجود لهم ، وانما هو تقيل الأرض التي
 يطأونها إعظاما لهم عن تقيل أيديهم ، وفي هذا احتجاج يطول ذكره ، وفيما
 ذكرناه منه كفاية ؛ فينبغي لمن واجه الإمام ع . م أن يبدأ بالسلام عليه ،
 ثم يقبل الأرض بين يديه ، ويعتقد ذلك تعظيما له وتقربا إلى الله ع . ج
 به ويقول في السلام || عليه قبل انخطاؤه لتقيل الأرض : « السلام عليك
 يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » ويكون ذلك بحيث يراه الإمام وإن كان
 المسلم بحيث يسمع رد الإمام عليه السلام لم ينحط إلى الأرض لتقيلها إلا بعد
 فراغ رد الإمام عليه السلام ، ثم إذا قبل الأرض قام فإن حضر لأمر يريد
 الكلام فيه بما يجب وينبغي لمثله أن يتكلم به ، وكان ممن ينبغي لمثله الكلام بين

[٦٠ ب]

[١٦١]

يدى الأئمة تكلم وإلا استأذن فى الكلام ، فإن أذن له الإمام
تكلم وإن لم يأذن له انصرف ، فقد قال بعض الملوك لبعض من وفد
عليه من الأشراف وقد قام بين يديه يريد الكلام : إن كنت ممن
يتكلم بين يدى الملوك فتكلم . هذا واجب لملوك الدنيا وواجب الأئمة
فوق ذلك كما بينا فى أول الكتاب ، وأحسن ما يفتح به الكلام من أراد
الكلام بين يدى الأئمة إذا كان وافدا عليهم ، أو مريدا لكلام يطول ، أن
يفتح بحمد الله والصلاة على رسوله وعلى الأئمة ؛ فقد جاء فى الإستفتاح
بذلك أثر ، وإن لم يمكن ذلك أو لم يحسنه المتكلم فليدع بما تهيأ من الدعاء إلى
الإمام ، فى الدعاء ذكر الله ع . ج . وهو يجزى فى الإستفتاح من الحمد ،
ثم يتكلم بما أراد من الكلام ، ويستعمل من لفظه ما تعطيه قريحته وتنطاع له
له طباء ، وينطلق له به لسانه ، غير متكلم كلاما روى فيه قبل ذلك وأحكمه
وألفه وألف له وحفظه ، فإنه لا يأمن أن يحتاج إلى كلام لم يتقدم فيه ،
ويختصر الكلام ما استطاع وأمكنه الاختصار فى بيان ويجتنب التطويل
والاطناب والشدق والإسهاب فإن ذلك إنما كان يحتمل من المطبوعين عليه
فى قديم الزمان على استئصال لهم ، وقد جاء فى الحديث أن رسول الله صلح
قال لبعض من أشرب عنده فى كلامه وتشدق فيه بين يديه : عليك بما يفهمه
الخاص والعام من الكلام ، فإنى لو شئت قلت ما لا تعلمون ، بيد أنى من
قريش ، وربيت فى هوازن وربتتى سبع عواتك ولكن لعن الله الثرثارين
المتفهمين . . فحاض أهل اللغة فى تخريج غريب هذا الكلام الذى تكلم به
رسول الله صلح فلم يتفقهوا عليه ، وكان صلى الله عليه من أفصح العرب ومن
عنصر منابت اللسان ، ومن معدن الفصاحة ، وقد أعاب من جاء منها بما ||
يغرض ويغرب ولا يكاد أن يفهمه إلا الخاص ، فأما من تعاطى فى كلامه غير
ما جرت به عادته وأتى منه ما يدق وألفه أو تدبر وألف له ثم حفظه خليف
أن يفتضح كما افتضح رجل مرة عند بعض من أدركناه من الامراء وقد كان

[٦١ ب]

[٦٢ ا]

قدم إليه بكتاب ومكرمة ممن استعمله بعد انتطاع ذلك عنه مدة طويلة ،
 [لسكون بعض من كان قام على ذلك الذى استعمله ، فخال فيما بين هذا العامل
 ويده] ^(١) ثم تلتطف هذا الرسول وتلطف له فى الوصول إليه ، فلما بلغه قدومه
 وأنه قرب منه تأهب له وأحضر مجلسه وجوه رجاله وأظهر زيه وعدته ،
 وأذن للرسول فدخل إليه وسلم ، ثم افتتح كلاما وجيزا بليغا قد كان ألف
 وعمل له لحفظه ، فلما فرغ منه تهيبه ذلك الأمير ومن حضر مجلسه ، فحمد الله
 وأثنى عليه ثم قال كيف خلفت أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، والخاص والعام
 فيما قبله ؟ فلم يدر ما يقول غير ما جرت به عادته الخسيسة فقال له : بخير جعلك
 الله بخير . فماتلك ذلك الأمير ومن حوله عن الضحك ثم خاطبه فجاء بمثل
 هذا من الكلام ، واقتحمته العيون || وازدراه من سمعه من حضر . فيدبى
 لمن خاطب الأئمة صلوات الله عليهم أو تكلم بين أيديهم ألا يتكلف كلاما لم
 تجر به عادته ، وكذلك لا ينبغى للعاقل أن يستعمل مثل ذلك فى شيء من كلامه
 ومخاطباته ، فإن أقل ما يخاف من ذلك ما ذكرناه من هذا الجاهل المتعاطى ،
 مع ما ينبغى لمن خاطب الأئمة صلوات الله عليهم من تعظيمهم [وإجلالهم
 ومقاماتهم عن الإنبساط فيها والتعمق فيها] ^(٢) والتنطع والتشدد فى الكلام
 بها واستشعار الهيبة لهم ، والحرص فى الكلام عندهم أزين من ذلك وأشبه
 بمن تكلم لديهم ، ولا بأس بذلك من كان فى شعر أو خبر يحكى فيه كلام متقدم
 بلفظه إذا كان الإمام قد أذن بالشد والمتكلم فى ذلك ، فإنه لا يدبى أن يحمله
 ولا يلحنه . وكذلك إن قرأ كتابا بين يديه أو كتب به إليه فإن الاغراب
 فى ذلك . والبلاغة ما لم تخرج من المعروف إلى وحشى الكلام وغريب الالفاظ
 أحسن ، فإن كان فى الكتاب من الغريب ما يستعمل كثيرا ويعرف فلا
 بأس به ، وقصد المعروف من كلام العرب غير المجهول فى لغتها || المدخول

[٦٢ ب]

[٦٣ ب]

(١) هكذا فى الأصل . والجملة ظاهرة الاضطراب .

(٢) هكذا فى الأصل .

من كلام العامة والعجم أجود ، وما كان متوسطا من ذلك فهو أحسن ، فقد سأل بعض الأئمة عليهم السلام رجلا كان قلده أمر البحر يوما وقد دخل إليه ، عن الريح ما هي ؟ فكان يذهب إلى البلاغة ويستعمل الفصاحة فقال : نكباء بين الشمال والنبور ، ثم دخل أخ له كان ينظر أيضا في البحر ولم يكن يتكلف ما كان يتكلف أخوه ولا يشتغل بما كان يشتغل به من علم العربية ، فقال له الإمام عليه السلام : ما الريح الآن ؟ قال : جرج . فتبسم الإمام وقال : ما أبعد ما بينك وبين أخيك ولو توسطتما بين هذين الكلامين بكلام بين لكان حسنا . فأما من تعاطى ذكر الغريب في السكتب وكثرة استعماله فيها فغير حسن ، وقد كان بعض الأمراء يستعمل ذا قرابة له على بعض أعماله ، وكان في الرجل الذي استعمله حق وجهل ورقاعة ، فاستكتب كاتباً يشبهه في الرقاعة وحضر وقت يهدى فيه عمال ذلك الأمير إليه وأهدى هدية وقال لكاتبه : اكتب كتاباً بليغاً بذكر الهدية ونعتها . فجعل الكاتب يكتب في ذكر ذلك بغريب الكلام ويسميه له ويشرحه ، فكان فيما كتب به || وبعثتُ إلى الأمير بجرة - والجرة القلة - وفيها كمة - والكمة الترقاس . فلما قرأ ذلك الأمير كتابه استضحك منه وعزله ، وبعث عاملاً مكانه وكتب إليه في كتاب تسليمه : وصلت إلينا هديتك وكتابك وفيه من الغريب ما يحتاج إلى شرحه عنك شفاهاً ، وقد بعثنا بفلان مكانك عاملاً إلى أن تشرح لنا هذا الكتاب ونفيد عنك ما فيه إن شاء الله تعالى ، وهذا وإن كان من التجاوز في الرقاعة فإن في ذكره ما يزع من القليل منها . وكذلك أنشد بعض الشعراء بعض الملوك شعراً مدح به وأعجبه فاستعاده إنشاده وكان غريبه كثيراً ، فظن ذلك الشاعر أن ذلك الملك لم يعرف ذلك الغريب فقال له : نشرح لك غريبه أيديك الله عز وجل ؟ فغضب عليه وحرمه وأخرجه من بين يديه . فمثل هذه الأشياء ينبغي انتقادها ، وأخذ من يخاطب الأئمة صلوات الله عليهم ويتكلم عندهم ويكاتبهم نفسه فيها بالأدب الصالحة لهم || والتقرب بتعظيمهم وتبجيلهم إلى الله عز وجل وإليهم

[٦٣ ب]

بظهور التخلف واعتراض الحصر ، وتعرف الدهشة فيمن خاطبهم وقام بين أيديهم ، وتولى شيئا من أمورهم بحضرتهم أحمد من الإقدام والجزالة والبراعة في ذلك عندهم ، ولقد كان بعض الأطباء ينفصد بعض الأئمة عليهم السلام فكان يعتريه عند ذلك بعض الروعة إعظاما له ، وكأن ذلك أخاف الإمام ع . م من خطأ يده فأحضر آخر يوما وقد احتاج إلى الفصد ، وقد بلغه ما اعتري الآخر ، وأن ذلك كره منه ، فأخفى الموضع في يده ، وأخذ يدا الإمام ليختبر العرق قبل أن يربطه ولا وضعت الطشت بين يديه ، فقصده ، ولم يعلم ووضع أصبعه على العرق ، فدعا بالطشت ، وظن أنه أبدر في ذلك وجاء بما يستحب منه فأعظم الإمام جرأته عليه وإقدامه ، فكان ذلك سبب سقوطه عنده ، ورد الاول وأثنى خيرا عليه وبسطه إلى أن زال عنه ما كان يعتريه لجلالته عنده .

فعل مثل هذا من التعظيم والإجلال يجب معاملة أولياء الله والتصرف في أمورهم || ومخاطبتهم ، واستقصاء ما يجب في ذلك يخرج عن حد هذا الكتاب . وفيما ذكرناه من ذلك ما يستدل به على غيره ، ويلتفع به من وفق لفهمه إن شاء الله تعالى .

(١١)

ذكر القيام بين يدي الأئمة صلوات الله عليهم

والجلوس في مجالسهم والمحدث لديهم

القيام بين يدي الأئمة أولياء الله لمن عرف حقهم واعتقد إمامتهم واعتقد قيامه ذلك تعظيما لهم وإجلالا لمكانهم عبادة يتقرب بها إلى الله الذي أوجب تعظيمهم وإجلالهم ، كما كان القيام في الصلاة لله تعالى تعظيما له . قال جل ثناؤه : « وقوموا لله قانتين ، فيبغى لمن قام ذلك القيام أن يجعله الله

تعالى قرابة يتقرب بها إليه ويتوكل ذلك ويعتقده بقلبه ويحمل مقامهم في صدره ويرى أن ذلك القيام فيه حظ عظيم لنفسه إذ كان مما يتقرب به إلى ربه ، ويرجو لديه ثوابه ، ولا يرى أن الجلوس لديهم أفضل من القيام بين أيديهم ، ولا أن ذلك أدنى إليهم ، ولا أن أحداً يستحقه عندهم ، فإذا عرف ذلك واعتقده وأضمره وقصده ثم أمره بالجلوس إكراماً له أو لأمر ما رآوه || فليجلس معترفاً في ذلك بفضل نعمتهم عليه ، ويشكر على ذلك بما أمكنه ولا يتهاون ولا يستصغر بقدر النعمة والمنة فيه فإنه قدر جليل الدرجة وفضل عظيم المنزلة ، ثم لا يعتقد ويرى أن ذلك قد صار له رسماً جارياً لا يزول عنه ، ورتبة واجبة له ، وأنه ليس لأحد من عباد الله على أحد من أوليائه بحق ولا إن أنالوه معروفاً صار له عليهم ضربة لازب ، وإنما هم في الإنعام على عباد الله كما قال جل ثناؤه : « هذا عطاء مما فامنن أو أمسك بغير حساب » ، فإذا أحبوا نعموا وتطولوا ، وإذا أمسكوا لم ينبغ أن يستجزوا ولا ييخلوا . وكذلك ينبغ أن تراض النفوس لهم على المحنة والرضا وعند المنع والعطاء ، وعند أحوال الشدة وفي حالات الرخاء ، فإن صنعوا صنيع معروف إلى واحد وجب شكرهم عليه ، ولم ينبغ أن يرى المصنوع ذلك به أنه جدير به ولا مستحق إياه ، ولا أن يستشرف نفسه بعد ذلك إليه ، فإن عادوا به عليه غناغف الشكر واعترف بالتقصير وعدم الاستحقاق ، وإذا لم تكن لهم عودة إلى ذلك أدب نفسه في شكر ما تقدم لهم عنده واعترف فيه بعجزه ، ورأى أنه لو زيد من ذلك لكان أثقل لحمله . وأخرى أن لا يقوم بأعباء ما يجب فيه عليه . فإذا قام القائم بين يدي الإمام فليقم قائماً معتدلاً كقيامه في الصلاة وليرم بصره إلى الأرض إجلالاً وهيبه له ، ناظراً إلى الإمام من تحت طرفه ، ويخفض جناحه ، نظر من يرى أن نظره إليه عبادة ، فقد جاء ذلك في الحديث المأثور ، ولا يلتفت ببصره ولا يعلق في وقوفه ولا يعبث بيديه ، ولكن

[١٦٥]

[٦٥ ب]

يوسلها إرسالا ، أو يضع يمينه على شماله تحت صدره ، ويلزم الصمت والوقار إلى أن يسأله الإمام ، أو يضطر إلى الكلام ، أو يكون ممن يريد الإمام كلامه ، أو في حال من يرفع الأمور إليه من جعل ذلك له فيتكلم فيه ، أو فيما ينبئ له الكلام فيه ما استمع الإمام منه ، فإن أعرض عنه أو قطع كلامه لأمْر عرض له أو لغير أمر ، فليُنصت المتكلم حتى يأذن له الإمام في الكلام بالمنظ أو بإيماء أو باستفهام ، فحينئذ يعود إلى ما كان فيه ، وإلا سكت على ما قطع الكلام عليه ، ولا يرجع من غير إذن له فيه ، وليكن كلامه إذا خاطب الإمام كلاما متخافتا بالمنظ بقدر ما يسمعه الإمام ، ولا يرفع صوته عنده ، فقد نهى الله عز وجل عن رفع الأصوات فوق صوت نبيه | والجمهور بها لديه الذي قرن طاعة الأئمة بطاعته ، وجعل تعظيمهم من التعظيم له ، فإن خاطبه الإمام أصغى إلى لفظه ، وكذلك إن كان حديث الإمام لجماعة من بحضرته ، فينبئ لكل واحد منهم الإنصات والإصغاء إليه ، وكذلك إن خاطب أحدهم خطابا علانية غير سر فينبغي لمن سمع خطابه الإصغاء إليه ، وطلب الفائدة منه ، فإن في كل لفظة يلنظ بها الإمام حكمة لمن تدبرها ووفق لفهمها ومعرفتها ، ولا يرى من سمع كلام الإمام أن لفظة من ألفاظه تخرج مخرج هزل أو تقع موقع عبث أو تجري لغير فائدة وإن ظهر ذلك للسامع منه ، فينبغي له أن لا ينزله بهذه المنازل ، وأن يعلم أن الله سبحانه قد برأهم صلوات الله عليهم من ذلك ، وأن فهمه هو الذي قصر عن إدراك معرفة الفائدة من لفظه . فأما رموزهم عليهم السلام وأمثالهم وإشارتهم بمعارض الكلام فبحرور لا يخاض تيارها ، ولا يدرك قعرها ، ولا يفهمها عنهم إلا من شرح الله عز وجل || صدره لمعرفتها وفهمها ، وهي أكثر من أن يحاط بها ، ولو أخذت في ذكر بعض ما تأدى إلى منها لانقطع القول عما أردته ، وخرج الكتاب عن حد ما عليه بنيت ، فإن جرى الحديث عند الإمام بذكر من تقدمه من أوليائه أو أحد من ملوك الأرض غيره فينبغي لمن حضر ذلك أن لا يذكر من حزمهم

[٦٦ أ]

[٦٦ ب]

وحسن سيرهم وأخلاقهم وجزالتهم شيئا يرى هو أو غيره أن ذلك الإمام قصر فيه أو أخله ، فإن لكل زمان تدبيرا ، ولكل قوم سياسة ، والأئمة صلوات الله عليهم أعلم بمصالح الخلق ، وأبصر بواجب الحق ، ولكن يذكر ما كان يذكر من شرف آبائه وفضلهم ومناقبهم مما ينبغي أن يكون مدحا له ، ولا بأس بذكره ، وإن سأل عن ذلك واستخبر من حضره عنه أدى الخبر إليه بحسبه غير مُطَرِّ لذلك ولا معظَّم له ولا منتقص ، ولكن يذكر ذلك على جواب ما سئل عنه ، فإن كان الأمر في الوقت على خلافه قال : الإمام أعلم بمصالح العباد ، وتدبير الأمور في كل عصر وزمان . أو نحو هذا من الكلام مما لا ترى فيه أنه توهم على إمامه تقصيرا عن ذلك أو تحلما || فيه ، ولا يقطع القول في ذلك بأنه ينبغي أن يكون ذلك في وقته أو لا ينبغي ، ولا أن ما كان من ذلك كان يجب أو لا يجب ، ولكن حسبه إذا سأل الإمام عن ذلك الجواب أجاب عنه على ما ذكرناه ؛ وإن سأل غيره عن ذلك بخضرة الإمام أمسك عن الجواب فيه وسكت عنه ، إلا أن يأذن له الإمام فيه ، أو يسأله عنه ، فإن جرى في المجلس من الكلام ما تبسم أو يفتر ضاحكا عنده الإمام فإنه لا ينبغي لأحد من جلسائه والقائمين بين يديه أن يضحكوا لذلك ، ولكن ينبغي لهم أن يطرقوا بأبصارهم مبتسمين ، ويظهروا الوجه والسكينة ، ويعظموا مجلس الإمام من الضحك فيه ، فليس ذلك فيه إلا له عليه السلام . وإن خاطب أحدا منهم أو من غيرهم سرا ، فينبغي لمن قرب منه أن يباعد عنه ، ولجميعهم ألا يصغوا إليه ولا يلتفتوا نحوه ، حتى يقضى نجواه ، ولا ينبغي لهم أن يتفاجؤا في مجلسه ، ولا أن يتحدثوا بينهم حديثا دونه ، وينبغي أن يكون جميع ما يحوى في مجلسه منه ومن جلسائه سرا لديهم وأمانة عندهم ، فقد جله في الحديث : أن المجالس أمانات وإن لم تؤتمن || من فيها . ولكن ينبغي أن يذكر ذلك وينشر ما كان فيه من حسن أحواله الإمام بوصف بها ، أو مكرمة يجب نشرها ، وليذكر غيرها ، وإن كان ذلك من المباح دون المحظور ،

[٦٧]

[٦٧ ب]

ومن الظاهر دون المستور ، وينبغي لمن شهد مجلس الإمام أن لا ينازع ولا يمارى فيه ، ولا يقتصف من جنى بالقول عليه ، بل ينبغي له أن يتعمد الإساءة ، ويعرض عن قائل إن قال له سوءا وعرض بذلك له ، وإن تهايا الجواب له وحضرته الحجة عليه ، إلا أن يأذن الإمام له في الجواب ويطلق له المناظرة والخطاب ، وإن كان ذلك اقتصر على الحجة ولفظ بالصراخ غير طائش في المقال ولا متبسط في الجواب والسؤال ولا قائل هجرا ولا معرض له ولا منتصف من قائل إن قال ذلك له ، ويتقن التملط والتشاوب وتنقيض الأصابع وحركة الأطراف والجوارح ، وإن عرض له سعال أو عطاس أخفى من ذلك ما استطاع كما يخفيه في الصلاة ، فإن جاءته نخامة أخفاها كذلك جهده وسترها ، وتناول ذلك في ثوبه من غير أن يظهر ذلك ولا يستدعيه ولا يفعله إلا بعد أن || يغلب عليه ولا يقدر على حبسه . وليكن جلوس من أمره الإمام بالجلوس في مجلسه مستوفزا فيه غير متمكن في الجلوس ولا متربع ، ولا بأس أن يقيم رجلا ويضع أخرى ، ويحتج بيديه بمسكها ، على ركبتيه أو على أحدهما ، ولا يقلق في جلوسه ولا يكثر الحركة فيه . وإنما نهينا عن هذا وأشباهه بما ذكرناه لما في الانتهاء عنه من تعظيم مجلس الإمام وتقديره ، لا على أنه حرام فعله ولكنه مكروه وينبغي في الآداب ترك استعماله . ولا يرى من لم يؤذن له في الجلوس أنه قصر به ، ولا يحسد من أذن له فيه ، بل ينتبط بشواب قيامه بين يدي إمامه ، ويعلم أن ذلك أعظم لثوابه عند ربه . وينبغي لمن تكلم عند الإمام بكلام أن لا يطرى فيه نفسه ، ولا يظهر الإعجاب بما فيه ولا ما كان منه ، وإن استحسّن الإمام شيئا منه وأطراه فيه أو أثنى بخير عليه فينبغي أن يتعاضم ذلك ويكبره ويكثر الشكر عليه بما قدر على ذلك وأمكنه ويتواضع لذلك ويقلل نفسه ويضع ما رفعه الإمام منه تواضعا لله وله ويشعر ذلك نفسه ، ولا يزهييه ولا يبهره إطراء الإمام له ، ويرى || ويعتقد أن ذلك القول فيه من فضله ونعمه عليه ،

[٦٨ أ]

[٦٨ ب]

ولا على أنه استحق ذلك منه ، فقد ذكرنا في غير موضع من هذا الكتاب أنه ليس لأحد على أولياء الله حق ولا إيجاب ، ويتيق الغيبة عنده وسوء القول في غيره وذكر معائب الناس له لينقصهم بها عنده ، فإن للناس معائب وأولياء الله أحق من سترها ، وزلات وذنوباً هم أولى من اغتفرها وأغمرها ، ولو لا ستر أولياء الله لبدت عوارات عباد ، وقد جاء عن رسول الله صلح أنه قال : « لو تكاشفتُم ما تدافتُم » ، يعني صلح أنه لو كشف لبعضهم عن عيوب بعض ما استحسن من كشف له عن عيب صاحبه أن يحضر جنازته ، ولقوله صلح وعلى آله : إن لله على كل عبد مؤمن سبعين سترًا فإذا أذنب ذنباً انتهك عنه ستر منها فإذا تاب منه واستغفر منه أعاد الله عز وجل عليه ذلك الستر ومعه سبعون سترًا ، وإن أبي إلا قدما في المعاصي تهتك أستاره ، وأمر الله عز وجل الملائكة فسترته بأجنحتها فإن استغفر الله وتاب من ذنوبه أعاد الله عليه أستاره ومع كل ستر منها سبعين سترًا ، وإن أبي إلا قدما في المعاصي شككت الملائكة إلى الله عز وجل ما تلقى منه ، فيأمر الله عز وجل الملائكة برفع أجنحتها عنه ، فلو عمل ذنباً في قعر البحر أو تخوم الأرض لأبدأه الله عليه ، فلما كان الله تعالى لا يعجل على المذنبين من عبادته فيكشف عيوبهم إلى خلقه ويحب سترها عليهم كان كذلك أولياء الله يحبون ما أحبه ولذلك قال على صلوات الله عليه : لو رأيت مؤمناً على فاحشة لسترته بثوبي . وقال على بن الحسين عليه السلام : لم يعيش مع الناس من عرفهم . وقال جعفر بن محمد صلى الله عليه وسلم : أجراً للناس على ذكر معائب الناس هم أهل العيوب .

[٦٩]

وكذلك لا ينبغي له أن يبدأ بمدح أحد لم يكن من الإمام قول جميل فيه فإنه لا يدرى لعل الممدوح عنده على خلاف ذلك عند الإمام ، ولكن إن ذكره الإمام بخير وكان عنده علم منه بذلك وحسن ذكر ذكره بالخير الذي بعلمه منه ، وإن ذكر الإمام أحداً من غير أعدائه بسوء أمسك من سمع ذلك

من القول فيه ، وعاد بالله ورغب إليه من سخطه وسخط أوليائه ، فإن الأئمة صلوات الله عليهم رحماء بعباد الله [وقد لعل] ^(١) من يذكره أحدهم بالسوء يتعطف عليه بعد ذلك بالعفو والرحمة ، [وقد لعل] ^(٢) من يعين عليه يقع مثل ذلك له به فما يأمن على نفسه من السقطة من له فضل وعقل وبصيرة وإنما معول من يميز ويعقل على فضل أولياء الله وتغمدهم وسترهم ورحمتهم . فأما سوء القول في العدو باللسان واعتقاد ذلك بالقلب فذلك هو الدين ولا تصح ولاية أولياء الله إلا بعداوة أعدائهم ، وكما لا تنفع الولاية إلا بالاعتقاد فكذلك لا تكون العداوة إلا كذلك ، ولم يقل رسول الله صلح في على عليه السلام : اللهم وال من والاه ، فقط ، واسكنه قال : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . وقال الله عز وجل : هذا من شيعته وهذا من عدوه . وإن استفهم الإمام أحداً عن حال من يستفهم عن حاله ، وسأله عن علم ما يعلمه منه ، أو أمره بتقديم من يختاره فذكر من يعلم أو يتأدى إليه فيه قول لم يسعه إلا ذكره للإمام لأن هذا كالكشف والامتحان ولكن ينبغي للقائل في ذلك قول الحق وتحري الصدق ، فيمن كان القول وعن كان السؤال من قريب أو بعيد أو ولى أو عدو . وإن ذكر الإمام أحداً بخير وأثنى عليه بحمیل شكر ذلك من يسمعه ويسأل الله أن يهب له ذلك منه فإن فضل أولياء الله على عباده ورحمته لخلقهم ينبغي شكرها على كل من بلغته لأنها رحمة من الله لخلقهم وكرامة وفضيلة لأوليائه ، ينبغي شكرها ونشرها عنهم إذ كان ذلك — كما قدمنا في غير موضع — لا يدرك منهم باستحقاق ولا ينال عنهم بواجب ، وإنما هو تفضلهم ، فينبغي نشره وذكره وشكره لهم ، وإن رفع الإمام من قدر أحد وقربه وخصه وأدناه وأنطقه ، لم ينبغ لمن يرى ذلك أو تأدى إليه أن يحسده عليه ، وقد ذكرنا ذم الحسد واللهى عنه في موضعه . فإن كانت عادة الإمام تقدمت بدليل منه على وقت

[٦٩ ب]

[١٧٠]

(١) هكذا في الأصل وسيستعمل هذا التعبير بعد ذلك راجع ص ١٢٦ . ص ١٧

القيام فرأى ذلك الدليل قام من بحضرته فقبلوا الأرض مسلمين وانصرفوا من غير إذن ، وإن لم يكن ذلك نظروا إليه فإن سكنت عن الحديث ، أو رأوا منه ما يدل على إرادة القيام نهضوا ، فإن أمرهم بالجلوس جلسوا ، يفعلون ذلك حتى يمسك الإمام عنهم فينصرفوا ، وينبني لهم التخفيف وترك الثقل على كل حال ، فإن أحب الإمام مقامهم فهو يأمرهم بذلك ومن أحب متسامه منهم ، فإذا انصرفوا من بين يديه فلا يولوه ظهورهم ، ولكن يمشون القهقري أو العرضية لا يستدبرون حتى يغيبوا عنه .

[٧٠ ب]

(١٠)

ذكر الأدب في مسابر الأئمة صلوات الله عليهم

وما ينبغي أن يفقد من سائرهم

ينبغي لمن سابر الأئمة في سفر أو حضر ، أن يلزم الموضع الذي فيه رتبته ، فإن كان فيمن رتب أن يسير بين يدي الإمام سار كذلك ولزم ما أمر به ، وجعل همته وشغله التحفظ لمكان الامام من غير أن يكثّر الالتفات إليه ولا يثني عطفه نحوه ، ولكنه يتفقد ذلك باختلاس من نظره ، ومشى عرضية في خفية يرى منها الامام خلفه فيعرف أين هو منه ، ومكانه من القدر الذي رتب له أن يكون فيما بينه وبينه ، فإن بعد عن حد ذلك وقف حتى ينتهي الإمام إلى الموضع الذي يرى أن ما بينه وبينه هو القدر الذي رتب له وإن رأى الإمام قد قرب منه [حرك] ^(١) حتى يكون الحد الذي ينبغي له أن يكون فيه ، وإن كان على قصد اعتدال فوقف الإمام وقف حتى إذا سار سار بسيره ، لا يشغله عن محافظة ذلك شاغل ، ولا يتهاون به ولا يصرف همته عنه ، ولا يدع اشتغاله بشيء غيره من حديث ولا نظر إلى ما يمر به ، ولا بغير

ذلك على الوجوه والاسباب كلها ، وإن كان ممن رسمه المشي بين يديه على
 القرب منه || فيدبني له كذلك أن يلزم رتبته ويتحفظ على ما قدمنا ذكره
 [١٧١] ويلزم الوقار والسكينة وترك الحديث والكلام إلا فيما سأله عنه الامام أو
 أمره به ، ويكون أهل هذه الطبقة من التحفظ والاصغاء إلى الامام والنظر
 إليه بحال من ذكرناه أنه يقوم بين يديه ، فإن دعا أحدا منهم سارع إليه ،
 وأقبل بوجهه عليه مطرقاً يبصره إلى الارض حتى يسمع ما يأمره وينفذه
 بحسبه ثم يعود إلى مكانه ، ومن خصه الامام بمسائراته راكباً في مركبه
 والدنو من ركابه فيدبني له أن يعرف قدر هذه الرتبة ومكان هذه المنزلة
 ولا يرى نفسه أهلاً لنظره إليه فضلاً عن الدنو منه ومسائراته ، ثم يكون
 سيره خلف الإمام فإن استدعاه دنا قليلاً يحاذيه ^(١) غير مساويه في السير ولا
 مقارب له ومال بوجهه وشقه إلى الإمام ، وأقبل بفهمه وسمعه عليه وأطرق
 يبصره إعظاما له ، وفعل في مخاطبته ما قدمنا ذكره في المخاطبة في المجلس
 ولا يسايره من حيث تأخذ الريح عليه فتثير دابته الغبار إليه وتسقط الريح
 لعابها عليه ، ولكن يجعل الإمام مما يلي الريح ويكون هو أسفل من ذلك
 ولا يدخل تحت | ظله ولا يتقدمه ولا يساويه ويكون دونه شيئاً ، ويلزم
 [٧١ ب] في حديثه واستماعه ما ذكرناه في مثل ذلك في المجلس ثم لا يرى أن هذه الرتبة
 تكون له ما عاش ، ولكن ينظر فإن كان الإمام قد تقدم إليه وأمره أن
 يسايره كلما ركب من دون أن يدعى إلى ذلك امتثل أمره ، غير جاعل ذلك
 لنفسه حقاً واجباً ولا أمراً لازماً ، بل يعتقد أن ذلك من فضل الإمام عليه ،
 فإن أخره عن ذلك لم يتكر ما تقدم من فضله ، ولم يرتأخيره نقصاً عليه ولا سوء
 من الامام أتاه إليه بل يذكر فضله أولاً وآخرأ ويعلم أن حال الامام في ذلك
 حال يقرب منه من أرادته لأرادته ويؤخر من شاء كراهيه ومشيتته لعله في ذلك
 أو أخير علة ليس عليه في ذلك تعقيب لمن فعل ذلك في انتقاد مذهب ، وإن
 كان ممن دعاه الإمام إلى ذلك مرة أو مراراً أو مدة طويلة أو لم يأمره بمسائراته متى

ركب ، لم يأت به إلا أن يدعى به فإذا دعى لذلك أتى إلى ما دعى إليه ، وإن دعى لغيره أتى لما دعى له بحسب ما يجب أن يأتي إليه ، ثم انصرف غير جاعل في نفسه لمسيرة الإمام همة تتعلق بها قلبه ، وأن يرى أنه قصر به رتبة كانت جعلت له فقد ذكرت في غير موضع من هذا الكتاب أن فضل أولياء الله لمن أفضلوا عليه وعظائم من أعطوه ليس عليهم فيه واجب ولا هو لمن أولوه | ضربة لازب ، إنما هو فضلهم يؤتونه من أحبوه ويحبسونه إذا أرادوا ، ومن كانت رتبته المشي وراء الإمام في موكب العامة مشى فيه على رتبته غير مشغول بما ينسيه نفسه ويخرجه عن حده ويلزم كل واحد من أهل هذا الموكب مكانه ويسير فيه بين أصحابه ، فإن كانت الرج من ورائهم تشير عجاج سداك خيلهم إلى نحو الامام ، عدلوا عنه أو تبعوا منه إلى حيث لا يناله ذلك منهم ويلزموا السكينة وما فيه من ترقير الامام ، وليحذروا اللجب والخصوم ورفع الأصوات ويفعل كذلك كل من سائر الامام من معه ومن بين يديه ومن خلفه .

[٧٢]

وأفضل ذلك أن يكون معهم السلاح والعدة ، ويجعلوا سيرهم مع إمامهم رباطاً عليه وحرساً له ومحافظة عليه ، ويعتقدوا ذلك ويضمروه وينووه ليؤجروا فيه . وكذلك ينوون ويعتقدون نظرم إليه عبادة الله الذي جعل ذلك لمن نواه وأضمره كذلك . وإن مشى الإمام فينبغي لكل من سايره أن يمشى خلفه ، وإن دعاه الأمر دنا منه دنوا يسيراً غير ملاصق له ، وأقبل عليه بوجهه وشقه ومشى على جانب معه إلى أن يقضى الإمام ما أراد ، ثم ينصرف من دعاه فيمشى | خلفه وإذا نزل الإمام عن دابته لحاجة ، فينبغي لمن كان معه أن ينزلوا عن دوابهم ، ولا يقيموا ركباناً وهو قائم على الأرض ، فإذا ركب ركبوا ، وإن نزل فصلى فصلوا بصلاته إن أمهم ، وإن أمر أن يصلى بهم أحدهم صلى بهم أو وحداناً صلوا كذلك بحسب ما يأمرهم ، فإن نزل لحاجة تنحوا عنه حتى يقضى حاجته ، فإن تناول ماء يشربه أو شيئاً ما كان

[٧٢ ب]

بما تناوله مالوا عنه وصرقوا أبصارهم حتى ينتهي الى مراده من ذلك وحاجته وما قد [...] (١) را كبه وسایره فی مركبه على أن لا يفعل ذلك فليصبر عنه ، فإن لم يكن له من ذلك بد فعل ما لا بد له منه في خفية من الإمام ولا يفعلونه معاً ، ولكن واحد بعد واحد ، فإذا انصرفوا ودنا من قصره أو سرادقه إن كان سلخوا عليه ، ووقفوا حتى يدخل ثم انصرف كل واحد منهم الى موضعه .

(١١)

ذكر مفسر طعام الأئمة صلوات الله عليهم

قال الله جل ذكره : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث [إن ذاكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق] (٢) فهذا ما فرض الله على المؤمنين لنبيهم صلى الله عليه وآله في طاعة الأئمة بطاعته وكذلك ينبغى لهم لزوم هذا الأدب الصالح لأئمتهم فلا يأتى طعامهم ويدخل اليهم في بيوتهم إلا من دعى إلى أكله إلا أن يكون ذلك من الطعام الذي أباحوه لسائر الناس أو لمثل من يريد أكله ، فإذا كان ذلك فله أكله بالاباحة ، وإن لم يدع باسمه إليه ويباح له بعينه . وينبغي لكل من أكل طعام الأئمة أن يعلم قدره ويعظمه حق تعظيمه ، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : إذا وضعت مروائد آل محمد حفت بها الملائكة يستغفرون الله لهم ولمن أكل من طعامهم . وكان بعض الأئمة صلوات الله عليهم إذا قرب طعامه إلى من يحضره إليه يقول لهم :

(١) كلمة لا تقرأ لعلها « نهى » (٢) سورة الاحزاب ٤٣ / ٥٣

[٧٣ ب]

كلوا وتبركوا به . ويذبح لمن أراد حضور طعامهم أن ينظف أطرافه وشعره وبشره وثيابه وجوارحه وأظفاره ، ولا يرى عليه ما يقدر من أجله ، ثم إذا جلس إلى الطعام ينتظره فليجاس بسكينة ووقار ، فإذا أتى بالغسل غسل يده ضلًا نظيفًا موزًا وينشفها بالمنديل ، فإذا قرب الطعام جلس له مستوفزًا غير متربع ولا متكئ ، ولكن يقيم رجله اليمنى ويثنى الأخرى تحته ، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه أنه كان كذلك يأكل ويقول : آكل كما يأكل العبد ، ونهى أن يأكل أحد متكئًا ، وخالفته بنو أمية فهم إلى اليوم وأتباعهم متكئون إذا أكلوا . فإذا مد يده إلى الطعام سمي الله تعالى ، وإذا فرغ من لون حمد الله تعالى ، وإذا تناول لونا آخر سمي الله تعالى عند ما يبتدىء ، فقد روى عن علي (ص) أنه قال : من سمي الله تعالى على طعامه لم يضره . فقال له ابن السكوافاني : أكلت البارحة طعاماً سميت عليه وقد ضرتني قال : لعلك بالسكع أكلت ألواناً سميت على بعض هادون البعض . فقال : أما ذلك فقد كان . فقال : من هاهنا أوتيت . وإذا تناول الطعام فليتناوله بالخمسة الأصابع فإنها سنة رسول الله صلح وسنة الأئمة صلوات الله عليهم خلاف سنة الجبارين الذين يتناولون بثلاث أصابع وبالسكاكين وكلاليب وتلقمه الجبارون أنفة منهم عن تناوله بأيديهم ، والطعام رزق الله تعالى وتعظيمه من تعظيم الله تعالى ، فيذبح أن لا يأنف الآكل عنه ولا يرفع نفسه فيه ، ويستعمل من ذلك سنة نبيه صلح وسنة الأئمة من أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين ، ويتناول الآكل مما يليه من الطعام ، ولا يجيل يده إلى كل ناحية في المائدة ولا في الصحفة ، وكان كذلك رسول الله صلح لا يفعل إلا في التمر ، فإنه كان يجيل يده في الطبق ويختار ما يتناول منه ، فيجب اتباع سنته ، ولا يتناول الآكل من ذروة الثريد ، ولا من وسط الصحفة ، فقد نهى عن ذلك ، ولكن يتناول مما بين يديه منها ، ولا يتجاوز في الأكل كما يتجاوز أهل النعمة ، ولا يقصر فيه تقصير أهل الأنفة والبذخ ، ولكن يأكل أكل الحاجة إلى الطعام ، ويجيد أكله . ولا

[٧٤ ا]

يقصر فيه ، فقد رأى بعض الائمة (صلح) رجلاً يأكل من طعامه أكل
تقصير فقال : من مودة الرجل لأخيه جودة أكله لطعامه . وإنما نهينا عن
الاسراف في الأكل للشهه والرغبة كأكل المنهومين للمستأكلين ، فأما من
أكل كعادته ومنتهى حاجته فذلك حسن جميل ، فأما الأخذ من الطعام
وجله فذلك ما لا أحسب أن أحداً يحفل عاره وإثمه . فينبغي لمن أكل من
طعام أولياء الله أن لا يفعله || كان مباحاً أو مدعراً إليه ، وينبغي لزوم
الصمت عند الطعام وترك الكلام إلا فيما لا بد منه ، وإن يحذر الأكل ويتق
سيلان أنفه ودموعه وريقه ، فإن غلب شيء من ذلك عليه أو بدر منه تناوله
تناولاً خفيفاً بالمتديل دون يده ، ويستر ذلك ما قدر عليه ، وإن اعترضته سعاله
أمسكها ما استطاع فإن لم يقدر على حبسها مال بوجهه عن المائدة ، وصوب
رأسه وستر فاه بالمتديل حتى يقضى سعاله ، وكذلك يفعل في العطاس
وما اعتراه من أثر وهو يأكل ، ولا ينظر في وجوه الأكلين ولا إلى
ما يتناولون ، ولا ينبغي أن يناول بعضهم بعضاً من الطعام ، ولا أن يحث
بعضهم بعضاً على الأكل ، فإن ذلك من فعل بعض العوام ، ويتق تلطخ يديه
بالطعام ، ولا بأس أن يلعق أصابعه عند فراغه من الطعام ، فقد كان رسول
الله صلح يفعل ذلك تعظيماً للطعام عن مسحه في المتديل وإذا رأى أنه انتهى
إلى حاجته من الطعام ومن معه يأكلون فلا يرفع يده عنهم ، ويتناول الشيء
بعد الشيء حتى يرفعوا أيديهم أو أكثرهم حينئذ يرفع يده ، ويلبغى أن لا يشرب
الماء قبل كفايته من الطعام ثم يعود إليه ، || ولكن إذا رفع رأسه ولحق يده
فليشرب ، فإن اضطر إلى ذلك قبل فراغه فليمسح يده ثم ليشرب إن شاء
 ويعود إلى الطعام إن لم يكن قد اكتفى منه وكان أصحابه يأكلون ، وإذا شرب
فليسلم الله حين يبدأ ويمجد ، حين يفرغ ، وكذلك يفعل كلما تنفس في
الشرب ، وإذا عاد إلى الأكل سمي الله ، وإذا فرغ من الأكل حمد الله ودعا
للإمام بخير ، وتناول بقية ما لصق بيده من الطعام ثم مسحها بالمتديل وغسل

[٧٤]

[٧٥]

يده إن أتى بالغسل فإن كان أكله بحضرة الإمام لم يغسل يده بحيث يراه ، ويتنحى ناحية فيغسلها ، لأن ذلك من التعظيم له إلا أن يأمره بذلك فليمتثل أمره ، فإن بقي فيه طعام فلا يلفظه وليبتلع منه ما كان فيه ، وما أدار لسانه عليه ، وما أكرهه بالخلال لفظه ولم يبتلعه ، فإذا قضى ذلك قام كما أمر الله من أكل طعام نبيه إلا أن يكون للإمام أمر في الجلوس فليمتثل أمره صلوات الله عليه .

(١٢)

ذكر آداب أهل بيوتات الأئمة وما ينبغي أن يأخذوا به أنفسهم ولهم

[٧٥ ب]

قال الله جل ذكره لمحمد نبيه صلح : « وأنذر عشيرتك الأقربين » ، كما قال الله تعالى له : « وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب » ، فالأقارب والأباعد من الأئمة ص. ن. ح. بوعد الله عز وجل منذرون ، وبفرائضه يتعبدون ، وبالطاعة لأوليائهم مأمورون ، وفي جملة من أمرهم الله بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولى الأمر داخلون ، ولذلك قال رسول الله صلح لبي عبد المطلب « يا بني عبد المطلب لا يأتي الناس بأعمالهم وتأتون بأنسابكم ، فإني لا أغني عنكم من الله شيئا إلا بعمل صالح تعملونه وإنما يقربكم من الله أعمالكم ويعودكم عنه ما اقترفتكم » . وسأل رجل جعفر بن محمد صلوات الله عليه عن قول رسول الله صلح : « من مات لا يعرف إمام دهره مات ميتة جاهلية » فقال عليه السلام قد قال ذلك رسول الله صلح . قال السائل : فكذلك من مات منكم أهل البيت لا يعرف إمام دهره ؟ قال : نعم ، من مات منا أهل البيت لا يعرف إمام دهره مات ميتة جاهلية ، هم والله والناس في هذا بمنزلة واحدة . وأهل بيوتات الأئمة أحق الناس وأولاهم بمعرفتهم والنسليم لهم وامتنال أمر الله فيهم ، والحجة عليهم في انكارهم آكد منها على غيرهم ، وإن كانت الحجة في ذلك لازمة للقريب والبعيد ، فإن من قرب من الحق كان الحق ألزم له فينبغي لأهل

- [٧٦] بيوتات | الأئمة ، ومن قرب منهم أن يذكروا أعلم الناس بواجبهم ، وأقومهم بحقوقهم وأطوعهم لهم ، ولا تذهب بهم الأئمة عنهم والحسد لهم والكبر عن التذلل اليهم والوقوع دونهم إلى الكفر بالله ربهم والانسلاخ والخروج من دينهم ، فإن الله هو اختارهم منهم واصطفاهم عليهم وأمرهم كما أمر جميع العباد بطاعتهم ، فأياه يشاقون بمشاققتهم ، وعليه يتكبرون إن تكبروا عليهم ، وعنه يعدلون إن عدلوا عنهم ، وهو عز وجل مذل من شاقه ومهين من تكبر عليه ، ومهلك من عدل عنه ، ولم يهلك من أهل بيوتات الأئمة إلا بظنهم أن لهم فضلا فيما افترض الله على العباد دونهم ، كما قال طلحة والزبير لعلي صلوات الله عليه لما أعطيا مثل ما أعطى الناس : فأين قرابتنا وسابقتنا يا أمير المؤمنين . . قال : قرابتكما وسابقتكما أسبق وأقرب أم قرابتى وسابقتى ؟ قال : بل قرابتك وسابقتك . قال : أفكان رسول الله صلح يقسم بالسوية أو يفضل أحدا على أحد ؟ قال : بل كان يقسم بالسوية ولكن الذين بعده فضلونا . قال : أفهم أعلم أم رسول الله ؟ قال : بل رسول الله صلح . . . في كلام طويل احتج فيه عليهما فاتفقا بذلك وما || كان هلا كهما إلا بسبب ما ظناه من أن لهما فضلا على غيرهما ، فنكثنا بيعته وخرجا عليه فكان من أمرهما ما يطول .
- [٧٦] ب وسأل رجل من ولد الحسن بعض أولياء الأئمة ودعاتهم ممن كان قد استحكم أمره وظهر سلطان أولياء الله على يديه أن يعطيه مما أفاء الله عليه ، فلم يفعل ، فقال له : تمنعني على قرأتى ممن تدعو إليه وتعطى هؤلاء . فقال له : أخبرنى من كان أولى بالناس بعد رسول الله صلح ؟ قال : علي بن أبى طالب . قال : ثم من كان أحق الناس بعد علي ؟ قال : الحسن . وعدد كذلك جماعة من الأئمة عليهم السلام . ثم قال له : فهل كان أحد من هؤلاء الذين كانت لهم الإمامة في حياة من قبله قد سقط عنه بذلك فرض الإمام الذى كان قبله ووجب على غيره ، أو كان له حق عليه ليس هو لمن سواه في مال الله في يديه قال : لا . قال : فإذا كان هذا لا يكون للأئمة في ذات أنفسهم ، فكيف يكون

لمن يتوسل وتقرب بقربانهم ، فإن كانت يدك مع أيدي هؤلاء الذين أعطيتهم
أعطيتك بواجب ذلك ، وإلا فأنت وهم وسائر الناس بمنزلة واحدة في ذلك .
ولو كانت القرابة || توجب حقاً في ذلك لأوجبه لأبناء الانبياء وأبنائهم
ونسائهم ، فقد قال الله عز وجل وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن
موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عبد الله تبرأ منه . . وقال لنوح في ابنه
« انه ليس من أهلِكَ انه عمل غير صالح » قال « وضرب الله مثلاً للذين كفروا
امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما فلم
يعغيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين » وقال : « يا نساء النبي
من يأتي منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » . وانما تنفع
القرابة مع الأعمال الصالحة كما قال تع : « والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم بايمان
الحقنا بهم ذريتهم » . وقال تعالى لنساء النبي « ومن يقست منكن الله ورسوله
وتعمل صالحاً نؤتيها أجرها مرتين » واعتدنا لها رزقاً كريماً ، فيذبخي لأهل
بيوتات الأئمة أن يعرفوا هذا ويتدبروه من كتاب الله وقول رسوله وسنة الله
في الذين خلوا من قبلهم ، فإن ابن آدم انما أهلكه حسده لأخيه ، إذ قبل
الله قربانه دونه وقدمه عليه ، وقد ذكرنا الحسد وما يدعو إليه والنهي عنه
وما || جاء فيه فليحذروه على انفسهم ، ويقدموا من قدمه الله منهم واصطفاه
عليهم من أئمتهم ، ويقوموا بشرائطهم وما أوجب الله عليهم لهم ، ويطيعوهم
كما أمر الله حق طاعتهم ، ولا يروا أن لهم في ذلك فضلاً على أحد من الناس
غيرهم ، ولا واجبا يسقط عنهم دونهم ، بل الحق في ذلك عليهم أكد ،
والغرض أوجب . كما أن فضل العالم على الناس واجب من وجه عليه وفضله
وواجبه على أهله وولده من وجهين ، من وجه عليه ووجه أبوته وقرابته ،
وكذلك فضل الإمام وحقه على أهل بيته يجب لإمامته ويجب لرحمه وقرابته ،
وتصل قرابتهم به طاعتهم إياه ، وتقطعها معصيتهم له ، كما برأ الله إبراهيم من
أبيه ، ونبي ابن نوح لمعصية منه ، فمن لم يعرف الإمام من أهل بيته ، ويقر

[١٧]

[٧٧ ب]

بإمامته ، فهو جاهل كما قال رسول الله صلعم ، ومقطوع النسب كما قطع الله نسب ابن نوح منه ، وقد زال فضل القرابة عنه ولحق اسم الجاهلية به ، ووجب أن يكون من أخس خلق الله عند من عرفه وأهونهم عليه وأقلهم قدرا عنده .

(١٣)

ذكر الادب في طلب الخواص من الأئمة

قد جعل الله عز وجل عند أوليائه لمن عرفهم وسلم لأمرهم ودان بطاعتهم وإمامتهم خير || الدنيا والآخرة ، فمن أراد الآخرة محضا عندهم وجدها ، ومن أحب الدنيا لديهم أصابها ، ومن طلبها معا وجدها . فينبغي لمن أراد سؤالهم لنفسه أو لغيره أمرا من أمور دنياه أو من أمور آخرته أن يتلطف في السؤال ، ويتحرى به مواطن الاقبال ، ويجعل لكل وجه من سؤاله حدا فيقدم فيه لنفسه روية وأدبا فان سأل أمر الدين ألحف واجتهد ، وإن سأل في أمر الدنيا خفف واقتصد ، ولا يتعدى في كلا الأمرين حده ولا يتجاوز قدره ، فان سأل من أمر الدين لم يسأل مالا ينبغي له ، وإن سأل من أمر الدنيا لم يسأل ما جاوز حده . فقد جاء عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنه سمع رجلا يقول : اللهم اجعلني من الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماما فقال : لقد سألت ربك شططا ، سألته أن يجعلك إماما مفترض الطاعة وهذا مالا يكون لك . وجاء عن علي صلي الله عليه أن عتميلا أخاه سأله أن يعطيه مالا لا يستطيعه || ولا يمكنه فقال له : يا عقييل إذا كان من الليل فأتني لتخرج فنزل على فلان اليهود وكان ذا مال فنقتله وناخذ ماله فنعطيك ففيه فوق ما سألت . فقال سبحانه الله تعالى يا أمير المؤمنين وتفعل هذا ؟ فقال : لا والله ما كنت بالذي أفعله وإن الذي لله من ماله في يدي لأعظم حرمة منه ولسكن إن صبرت حتى يخرج إعطائي . قاسمتك إياه فتركه ولحق معاوية ، فكانت

[٧٨ أ]

[٧٨ ب]

له مع معاويه أخبار يطول ذكرها ، بكت فيها معاويه وأخزاه وفضحه ، وذلك أنه رام منه نقص على (ص) فلم يعطه الدنيا من نفسه في ذلك فكان منه إليه ما خلد ذكره عنه من القول فيه . وكذلك ينبغي لمن سأل أولياء الله أمرا من أمور الدنيا أو الدين أن لا يسألهم من ذلك شططا وإن سأل أمرا من أمور الدين لم يسأل لطلب رياسته ولا لريام^(١) ولا لينال به أمرا من أمور الدنيا فقد جاء عن رسول الله (صلعم) أنه قال : من طلب أمرا من أمور الآخرة ليتبغى به أمرا من أمور الدنيا يحد ربح الجنة وأن ربحها ليوجد من مسيرة مائة خريف . وأن طلب أمرا من أمور الدنيا لم يطلبه شرها ولا إلحافا ولا على ظهر || غنى الأئمة ، فقد بلغني عن بعض أولياء الله ممن مكن له وظهر سلطان أولياء الله على يديه أنه قال لقوم من المؤمنين وقد ذكروا السؤال فقال : حرام على من سألني منكم دينارا وعنده دينار ، أو دابة وعنده دابة ، أو شيئا ما كان وعنده مثله ، فيكون قد سأل ما عنده العوض منه ، وسأل عن ظهر غنى ، وقد جاء عن رسول الله صلعم وعلى آله أنه قال : لا تحل المسألة عن ظهر غنى ، ومن سأل وعنده ما يخنيه جاء ذلك خدوشا وكدوحا في وجهه يوم القيامة . وما ينبغي لمن سأل الأئمة أن يجعل سؤاله تعريضا ولا يجعله إلحافا وتصريحا ، فإن حسن سؤاله عندهم منحوه ماسأله متطولين ، وإن لم يحسن لديهم أمسكوا عنه غير متكلفين لأنه [قد لعل]^(٢) السائل يسأل ما يحمله ويعظم الرد على أولياء الله لما جبلهم الله عليه من الكرم فإن أعطوه ذلك أعطوه عن استكرام وإن منعه منعوه كذلك . وإذا كان السؤال تعريضا ، ولم يكن تصريحاً كانوا مخيرين في الإعطاء وفي مندوحة من الفضل ، فإن أعطى الطالب أعطى من غير استئصال ، وإن أمسك عنه عوفي || عن نقص الرد بعد السؤال . ففي ذلك توقيف جاهه والتخفيف عن أئمة . وينبغي للمؤمن إذا احتاج أن لا يبذل ماء وجهه إلا لإمامه فإن لم يمكنه ذلك فلا يمكنه إلا لأوثق من يراه من المؤمنين

[٧٩]

[٧٩ ب]

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب لجاء .

(٢) هكذا في الأصل . وقد كرر ذلك فيما قبل راجع ص ١١٥ . ص ٣ ، ٢

إخوانه ولا يتعرض المسألة لأعدائه ، ولا يقبل منهم وإن جادوا عليه
وابتدأوه فإن ذلك عز الإيمان والمؤمنين . وقد قال الصادق جعفر بن محمد
صلوات الله عليه ووصف شيعة فقال : شيعتنا من لا [يتوالى عنا عدوا]^(١)
ولا يسأله ولا يقبل منه وإن هلك ضياعا . ونهى صلى الله عليه وسلم عن قبول
هدايا المشركين والمخالفين وتحفهم وصدقاتهم لئلا يستميل ذلك القلوب ، وقال
بعض أولياء الأئمة لأصحابه : حرام على من احتاج فسأل غيري أو الثقة من
إخوانه . وقد قيل أعط من شئت فأنت أميره وخذ من شئت فأنت أسيره .
ولا ينبغي للمؤمن أن يأسر نفسه لعدوه ، ولكن إن وجد شيئا من وجهه
وإلا فليصبر حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا من أموره ويرزقه من حيث
لا يحتسب كما وعد من ارتضاه من أهل دينه .

(١٥)

ذكر النهي عن انظار افعال الأئمة والأمر بتأنيها عنهم بالقبول [٨٠]

قال الله عز وجل « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »
وقال : لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم لو إذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو
يصيبهم عذاب أليم . فطاعة رسول الله صلح فيما أمر به والالتزام عما نهى عنه
وترك الخلاف عليه فرض من الله تعالى على عباده وذلك من وجوه الطاعات
له ، وقد قرن الله تعالى طاعة الأئمة بطاعته والطاعة لا تكون باللسان حتى
تصحبها النية والاعتقاد ، ولم يجعل الله لأحد من عباده أن يلتقد على رسول
الله صلح ولا أن يتعقب شيئا من فعله ولا أن ينكره بلسانه ولا بقلبه
بل أوجب عز وجل التسليم له في كتابه ولم يوجب الإيمان إلا به . وكذلك

(١) هكذا الأصل ولعلها بوالى لنا عدوا

يجب ذلك لمن وصل الله طاعته بطاعته وجعله للأمة خلفاً منه وهم الأئمة من أهل بيته صلح ؛ فالواجب لكل إمام على أهل زمانه طاعتهم له وتسليمهم لأمره وتركهم الاعتراض عليه ومخالفة أمره والانتقاد عليه والتعقب لأفعاله لأن الله عز وجل || قد قلد الإمام أمور عبادته وتكفل بتوقيفه وتسديده ، وأورثه عن تقدم من آبائه ، وزاده من فضله ومده بمعونته ، والإمام ينظر بنور ربه ويعمل بتأييده إياه ومعونته له ، وارشاده لما يحسن به العواقب ويصلح العمل به في كل عصر وزمان ومع كل قرن وفي كل وقت وأوان . ويجرى في كل يوم تديره ويستعمل لكل زمان ما يصلحه ، ويحدث في كل عصر ما يشبهه ويقابل كل قوم بما ينبغي أن يقابلهم به ويظهر في كل حين ما يصلح إظهاره فيه من أمر يأمر به ونهى ينهى عنه وحادث يحدثه وأمر يظهره وحالة يستعملها ، وسيرة يجريها والناس عن تديره ذلك كله بمنزل وعن علم الصلاح فيه بجانب غير أنهم قد اغروا بالانكار على الأئمة وتكلفوا ما قد حمل من فعلهم وما لم يفعل الله تعاقبه وانكاره اليهم ، بل قد أوجب الازعان والتسليم فيه عليهم فإن نظروا إلى زى الأئمة صلح ولباسهم وما يظهرونه من الإعداد والقوة لمباهات أعدائهم ويصنعونه ويقيمونه لردعهم وارهابهم أو هموا لمن وهم بذلك || وطعنوا فيه عليهم وتكلموا فيه وأنكروه من فعلهم ، وقالوا لم يكن رسول الله والخلفاء من بعده يتبعون مثل هذا كأنهم لم يسمعوا ما ذكره الله عز وجل في القرآن بما وهب من الملك ليوسف وداود وسليمان وما جاء عنهم في الأخبار بما كان لهم من النعم في الدنيا والآثار ولغيرهم من النبيين والصدّيقين والصالحين وما جاء في ذلك من الأئمة الراشدين . فقد روى عن جعفر بن محمد أنه قال : كان نبي بن نبي بن نبي بن نبي يجلس مجلس آل فرعون في أقية الديباج مزررة بأزرّة الذهب على الأسرة المرصعة بالجوهر يقضى بين الناس بحكم الله تعالى وبكتابه ، وجاء عنه عليه السلام أنه قال كان لسليمان ابن داود قصر فيه ألف حجرة في كل حجرة منها امرأة كانت له ألف طروقة

[٨٠ ب]

[٨١ ا]

منهن ثلثمائة مهيبة وسبعائة سرية . وحج صلوات الله عليه في ثوبين [قوهين] ^(١)
 فينما هو في الطواف إذ أخذ طرف ثوبه عباد البصري فقال : يا أبا عبد الله
 تلبس مثل هذا وقد علمت كيف كان لباس جدك علي بن أبي طالب
 صلح || ^(٢)

[٨١ ب]

ذلك اللباس ولو لبست أنا اليوم مثله لقال الناس إن جعفر بن محمد لمراء
 كعباد البصري ، فأسكت عباد ، ولم يجر جوابا ، وتغامر الناس به وانقد كان
 يوصف بالرياء ، والأخبار في مثل هذا تخرج عن حد هذا الكتاب ، وقد قال
 الله تعالى « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل
 هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ^(٣) والدنيا عند أولياء الله
 أهون من الذر ومقداره ، ومن الهباء المنبث وغباره ، ولهم فيها نظر وتدير
 فيما يأتونه ويدبرونه في كل دهر وزمان بما يرون بأنهم يصلحون ، فالحذر عباد
 الله الحذر من إنكار ما ترونه وتشاهدونه من أمرهم وفعلهم ، واغضائهم
 وإنكارهم وتصرف الأحوال بهم وعن أمرهم بالسنتكم أو بقلوبكم أو
 بخواطر أنفسكم ، وعليكم ما حملتم ، وسلموا لهم ما حملوا تغبطوا وتسعدوا وتسلبوا
 فكفى بالمرء جهلا أن يتكلف أمرا لم يكلفه ، واعلموا أن سعى الائمة صلح
 وما يفعلونه وإظهارهم ما يظهرونه جهادا لأعداء الله ، واستعدادا في سبيل
 الله فإن ظفرتهم | أتم من حلال الدنيا دون حرامها ، وطيب كسبها دون
 خبيث حطامها ، فقصدتهم به ذلك فيها وأخرجتم من واجب الله إليهم فيها ،
 فأتم السعداء بما اكتسبتم ، والفائزون بما علمتم ، وإن تريدوا بذلك نخرها
 ومضاهاة أولياء الله بما يظهرون منها فأتم الخاسرون والمعتدون من فعل ذلك
 فيها أعاذكم الله من الخسران والزيغ والعدوان . فقد جاء : أن من تزيى بزي الإمام

[٨٢ ا]

(١) هكذا في الأصل ولعلها منوبين أي مصبوغين بالقوة .

(٢) الكلام لا يستقيم في هذا الموضع مما يدل على سقطات في الأصل .

(٣) سورة الأعراف ٣٢ / ٧

فقد كفر. وقال جعفر بن محمد « صلح »؛ أشرك من ترأس علينا إن الرياسة لا تكون إلا لنا . ورأى بعض الأئمة صلح بعض رجاله وقد تزيى بمثل زيه ، فأمر به فأدب أدباً نكل فيه ؛ إذ علم صلوات الله عليهم منه أنه أراد بذلك أن يضاهيه . وكذلك ينكر الجهال على الأئمة صلوات الله عليه ما فعله الناس في أزمانهم ، ويأتيه من خالف أمرهم من عمالهم والمتسبين بأسبابهم ، كأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى في كتابه ، وذمه من اتبع من اتبعوه من عباده على أنبيائه وأصفياه إذ يقول جل ثناؤه « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ||

[٨٢ ب]

ولكن الشياطين كفروا » (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خالد بن الوليد لما خالف أمره وفعل ما لا يحب فعله فيما وجهه له واستعمله عليه ، « اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد » فليس من خالف الله ورسوله وأوليائه فيما أمروا به حجة عليهم ، وإنما الحجة في ذلك على من خالف الحق فيه ، وليس على أنبيائه وخلفائه في أرضه حجة فيما خالفهم فيه من تعدى فظلم نفسه بمخالفتهم ، فمن أنكر هذا على أولياء الله فإنما أنكره على الله تعالى لأن أمر الله تعالى في ذلك قد خولف ، كما خولف أمر أولياء الله الذين أمرهم من أمره ونهيه من نهيه . وما ينكره من أمور الأئمة من لادين له يرجع إليه ، ولا تميز له يقتصر عليه ، ولا عقل له من ذلك يردعه لو ذكرناه لطلال به الشرح ، وخرج عن مقدار هذا الكتاب حده والوصايا فيه والتحذير منه ، وقد جاء عن بعض الدعاة إلى الأئمة صلوات الله عليهم قول يعبر عن جميع ذلك ويأتي على جملة ، وذلك أن بعض الأولياء من خراسان سأل داعيه الإذن له في المصير إلى بعض الأئمة صلح فلم | يأذن له في ذلك فألح عليه فقال له : ويحك مقامك ها هنا أسلم لك وأعني . قال وكيف ذلك قال : أنت ها هنا على يقين ومعرفة بامامك والأئمة صلح لما ظهروا لظهور أمر الله لم تقم أمورهم إلا بمعاملة أهل الدنيا بالدنيا وأخشى عليك إن أنت صرت إلى دار الإمام أن

[٨٣ ا]

ترى بعض ذلك فتذكره بلسانك أو بقلبك فتهلك ويحبط عملك ، قال :
ما كنت بالذى أنكر شيئاً من ذلك ما كان . فألح عليه في الإذن فقال : إن لم
يكن في ذلك بد فأخذ عليك العهد كما أخذته أولاً أنك إن رأيت الإمام
بعيليك يزني ويشرب الخمر ويأتي الفواحش — وقد أعاد الله الأئمة من ذلك —
أنك لا تنكر ذلك بقلبك ولا بلسانك ولا يخالjk الشك فيه أنه صواب وحق
قال : نعم نخذ علىّ ، فأخذ في ذلك عليه . قال الرجل : فوالله لولا ما كان منه
إلىّ في ذلك لهلكت كما قال ، ولكن إذا رأيت أمراً أنكره ذكرت ما كان
منه . وهذا وما يدخل في معناه ، أشبه شيء بما قدمنا ذكره من قصة موسى عم
والعالم فيما أنكره موسى وهو صواب وحق من فعل العالم في السفينة والغلام :
والجدار ، على ما ذكره الله عز وجل في كتابه . أدبوا أنفسكم أيها المؤمنون
وانهوها عما تنكره من أفعال الأئمة ، واغضائها عما تنكره من أفعال أهل
زمانها ، وسلوا كما أمركم الله تعالى بالتسليم لهم وأطيعوهم كما افترض الله عليكم
طاعتهم واحذروا خلافهم والاعتراض عليهم والله ولى التوفيق .

[٨٣ ب]

(١٤)

ذكر ما ينبغي لمن استرعى أمر رعيا للأئمة

من السيرة بالعمل فجمع ولوا أمره من الأئمة

هذا باب يدخل في جملة كل عامل للأئمة صلح على ما استعملوه عليه
من رعية أو مال أو أمانة أو عمل ما كان ذلك العمل ، ويجب على جميعهم
ما يجرى ذكره فيهم ما يجرى في هذا الكتاب مما جرى بجرى العموم ويدخل
في هذا الباب جميع العباد على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

أنه قال^(١) : كلكم أمير وكل مسئول عن رعيته فالأمر مسئول عن أمر عليه ، والرجل أمير على عياله ومسئول عنهم ، والمرأة أميرة على بيت زوجها وعلى [ما استحفظه عليها فيها]^(٢) وفي نفسها ومسئولة عن ذلك ، والعبد أمير على ما أقامه له مولاه من مال | ومسئول عنه فليثق الله كل امرئ منكم فيما أمر عليه وليعلم أنه مسئول عنه . وهذا قول جرى مجرى العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي لمن دخل في جملة هذا القول أن يحافظ على ما استحفظه رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه ويحاسب فيه نفسه ويعلم أنه كما أخبره نبيه مسئول عنه . وأول ما يلزم لمن ولي شيئاً من أمور الناس أو من أمور الأئمة صلى الله عليه وسلم أن يتدبّر بصلاح نفسه قبل صلاح ما استعمل لإصلاحه فإنه من ضيع أمر نفسه كان لما سواه أضيع ، فكيف يأمر بالمعروف من لا يفعله ، أم كيف ينهى عن المنكر من يرتكبه ، قال الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون »^(٣) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر الراكبين له » ، فكيف يرجو خيراً من بكّته الله في كتابه ولعنه على لسان رسوله ، أم كيف يزكو عمله ، أو يصلح الله به أمراً من أمور عباده ، ولكن إذا بدأ بهذا بنفسه فأصلحها وجب أن ينظر في صلاح غيره وإلا فكيف يرجو صلاح غيره وهو فاسد في ذات نفسه ، أو يتعقب الحيان على غيره وهو خائن في ذاته والله يقول : « إن الله لا يهدي كيد الخائنين »^(٤) ولا يصلح عمل المفسدين . وجاء في الحديث : كيف ينظر أحدكم إلى القذى في عين أخيه ويدع الجذع المعترض في عينيه . فمن أمر نفسه بالمعروف ونهاها عن المنكر وجب أن يأمر وينهى بذلك غيره إذا نصب له ، ويأخذ على يديه

[٨٤]

[٨٤ ب]

(١) سيكرر المؤلف هذا الحديث في ص ١٣٤ مع تغيير بعض الألفاظ .

(٢) لعلك تلاحظ هذه الأخطاء في استعمال الضمائر فالصواب : ما استحفظها عليه فيه .

(٣) سورة البقرة ٢ / ٤٤

(٤) سورة يوسف ١٢ / ٥٢

فيه وإلا فإنه بمنزلة طبيب انتصب لعلاج الناس من داء هو ظاهر به فمن ذا تراه يثق بعلاجه أو يطيب نفساً به ويرجو البراءة على يديه ، وهو يرى أنه لم يبرئ نفسه التي هي أحب الأنفس إليه وأعزها عليه ، وهو بها أغنى وعلى عافيتها وصحتها أحرص ، وأخلق بمثل هذا الطبيب أن يتحاشاه الناس فلا يأمنه أحد لعلاج . فإن كان هذا يجري هذا المجرى في علاج هذه الأبدان القليلة البقاء القريبة الفناء ، فكيف ينبغي أن يكون النظر للأنفس التي يرجى لها الثواب الدائم ، ويخاف عليها العذاب اللازم ، فإذا أحكم الداعي هذا من نفسه فلينظر فيما استرعاه وليؤد الأمانة لله ولأوليائه فيه فإنه إذا أصلح أمر نفسه أصلح الله له كل أمر يريد صلاحه . وقد جاء عن رسول الله صلعم أنه قال : من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله له ما بينه وبين عباده . وفيما ذكرته من هذا بلاغ وكفاية عما سواه من الوصايا ، لأن صلاح الحالات يأتي على جميع الخيرات ، والصلاح بالحقيقة لا يأتي سوءاً ولا يرتكب خطيئة ، فإذا كان كذلك صلت أعماله كلها ، ونجا من تبعها وإثمها ، ولكن في الزيادة في الشرح خير وتنبيه ، فيجب عليه بعد ذلك أن يقتدى ، في كل ما يأتيه ويذره ويعطيه ويأخذه ، بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وقول مواليه الأئمة من أهل بيته ووصية إمام عصره ومن أقامه لوصاياهم ، في هذا أيضاً جماع كل شيء . وقال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » . وقال تعالى : « فيه تبيان كل شيء » . وقال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . وقال تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » . ثم نزيد بالشرح والبيان ونقول إنه يجب على المؤمن أن لا يعمل عملاً يستحي من إمامه فمن دونه أن يعمل ذلك بحضرة إلا ما كان من الحلال الذي لا شبهة فيه ، مثل إتيان أهله ومنزله ومطعمه ومشربه الذي لا شك فيه عنده أنه حل له ، ولكنه لا ينبغي له أن يجاهر بكثير منه ، فأما ما كان حراماً لا شك فيه أو شبهة لا يقين معها ، فينبغي اجتنابه في السر والعلانية والمشهد

[٨٥]

[٨٥ ب]

والمغيب، وقد تقدم مثل هذا في غير هذا الباب، ويشعر مع ذلك نفسه ويجعل نصب عينه خوف العقوبة ورجاء المثوبة في عاجل الدنيا وفي آجل الآخرة فيما يعمل به ويقول وينويه ويسره ويجهره، حتى كأن الجنة والنار وما يرجي ويخاف في الدنيا من ثوب أو عقاب بين يديه ونصب عينيه، وأعماله قد دونت وأحصيت له وعليه، وأنه قد أدنى من الحساب، وجوزى باستحقاقه عليها من الثواب والعقاب، ويتذكر ويتفكر ويتدبر وينظر ما بين خير قليل دائم له في دنياه موصول له بالنعيم الباقي في آخره، وبين لذة يستعجلها، ونهمة يتقدمها، ورغبة يصل إليها، تعقبه انقطاع الخير العاجل له، وتوجب العذاب الدائم فيه، مع حسن الثناء في الدنيا على أهل الفضل والأمانة وسوء القول في أهل الشر والخيانة، مع أن ما تفيد الخيانة من حطام الدنيا | كالسراب الزائل فيها، والزبد الذاهب جفاء منها، والبركة كل البركة في الحلال، وهذا معلوم موجود في أكثر هذه الأحوال، مع واجب امتثال أمر الله تعالى في ذلك إذ يقول في كتابه: «الذين إن مكنهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر»^(١). وقوله تعالى: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل»^(٢) وقوله: «إذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا»^(٣). وكثير من نظائر ذلك في كتاب الله جل ذكره وقول رسول الله صلى الله عليه . وما تدبر هذا وما قدمنا ذكره في هذا الباب عاقل إلا تبين له وجه الصواب فيه، وما يعمى عنه إلا الرعاع ومن جهل حظه، وكان بالبهائم أشبه منه حاسة ومعرفة من بنى آدم، فإن قول أمثال من كانت هذه حاله في مثل هذا المعنى: أنفع الأشياء لك عاجل يومك. وكسرة مستعجلة خير من خبز مؤجلة،

[٨٦]

(١) سورة الحج ٤١/٢٢

(٢) سورة النساء ٥٨/٤

(٣) سورة الأنعام ١٥٢/٦

وإنما هي أكلة وميتة . وإنما لك يياض نهارك أو سواد ليلك . ومن يتكفل لعاقل بالحياة إلى قابل . وإذا نزل الغيث فاملاً جبك . ، وموتك شبعانا خير من موتك جائعاً . فهل نفعت فلانا نصيحته وأغنته أمانته ؛ وقولهم للواعظ إذا وعظ : إذا دخلت أنت الجنة فاغلق الباب وراءك ، والحق الناس على الصراط خير من أن تلقاهم بالسماط . في كثير من مثل هذا الكلام من كلام السفلة والرعاع وأشباه الأنعام . وهذا باب لو تفحصنا ما يدخله على الشرح والتمام لطال فيه القول واتسع له اللفظ والكلام ، ولكننا شرحناه بالمجمل من القول الذي يتفرع عند التحصيل وينتج الفوائد عند طلب التأويل ، فأما ما ذكرناه من قول رسول الله صلح من أن كل امرئ راع مسئول عن رعيته ^(١) ، كالعامل في رعيته ، والرجل في أهله ، والمرأة في بيت زوجها ، والعبد في مال سيده ، فهو كما قال الرسول صلى الله عليه يجب على كل هؤلاء تأدية الأمانة فيما ائتمن عليه ، وأن يبدأ في ذلك كما ذكرنا بنفسه ، فقد قال الله تع : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » ^(٢) فلم يأمره عز وجل بأمر أهله بها إلا مع أمره هو بإقامتها ، وهذا مما ذكرناه من البدم بصلاح الأنفس . وقال جل ثناؤه : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ، فقليل يارسول الله قد علمنا أننا نقي أنفسنا النار بأعمالنا الصالحات فكيف نقي منها أهاليها ؟ فقال : تعلمونهم أعمالكم الصالحة وتأخذونهم بها فتقوم النار إذا عملوا بما أمركم بها . وقال صلح : إن الرجل الصالح ليعلم به أهله الخير حتى يدخلهم الجنة فلا يفقد من كان في بيته في الدنيا معه إلا هرة بيته . وقال : لا يزال الرجل الصالح يأخذ أهله وجيرته بالأدب الصالح ويعمل به حتى يدخلهم الجنة معه ، ولا يزال الرجل السوء يعمل السوء ويعلمه أهله وجيرته حتى يدخل النار ويدخلهم فيها معه . ويروى عن بعض الصالحين أنه احتاج إلى ثمن أمة

(١) جاء في ص ١٣١ س ١٦ (كلكم أمير مسئول عن رعيته)

(٢) سورة طه ١٢٢/٢٠

سوداء كانت له باعها فاشتراها قوم ، وقد كان الذى باعها يقوم ويصلى من الليل ويقوم أهله فيصلون بصلاته حتى صار ذلك لهم طبعاً وعادة ، فلما باتت الأمة عند مواليها الذين اشتروها قامت للعادة فصلت هدياً من الليل ، فلم تر أحداً منهم قام ، فقرعت الباب عليهم ، فأنهبوا وقالوا : مالك ؟ قالت : قوموا إلى الصلاة ، فظن القوم أنهم أصبحوا || فقاموا فرجعت هى إلى الصلاة ، فأرأوا الليل فعادوا فناموا ، فرجعت اليهم كذلك مراراً ، كل ذلك تقيمهم حتى صاحوا عليها وقالوا : إنك مجنونة ما نعرفين الليل من النهار ، فلما أصبحت خرجت عنهم وأنت مولاهما تبكى فقالت : يا مولاي بعتنى من قوم لا يقومون الليل . وهذا من سليم الأدب الصالح وتلقين الخير وتعليمه والعمل به .

[٨٧ ب]

(١٥)

ذكر ما ينبغى أن يستمر الدعاة إلى الأئمة

صلوات الله عليهم في دعائهم إليهم

هذا باب ينبغى لأهله أن يبدأوا بصلاح أنفسهم — كما ذكرنا في الباب الذى مضى من قبله — بل يجب على هؤلاء من استعمال ذلك بالحقيقة والتحفظ فيه وإخلاصه أضعاف ذلك ، إذ كان من دعوته إلى الله وإلى أوليائه يقتدى بهم وينسب إلى أولياء الله ودينه ما يكون منهم ، فهم أحق الناس بالورع والصلاح والتقوى والعفاف والعمل بكل صالحة واجتناب كل مكروه ، وهذا باب أيضاً يدخل فيه جماعة المؤمنين ، كما دخل في الباب الذى قبله عامة المسلمين ، لقول الصادق جعفر بن محمد صلح لكافة شيعة من لم تطلق له الدعوة || « كونوا لنا دعاة صامتين ، ثم بين ذلك وأخبرهم أنهم إذا عملوا صالحاً علم الناس أنهم أهل خير فدخلوا في جملتهم ، وكانوا دعائهم بأعمالهم لا بالسنة وكل مؤمن يعمل الخير فهو داع إلى الأئمة ، ولكن سبيله ما حد له لا ينبغى له أن

[٨٨ ا]

يتجاوزوه ولا يقصر عنه ، فرأس أمر الدعاة إلى أولياء الله وسيد أعمالهم وقطب
 أمورهم صلاح أنفسهم بالدين الصادق والورع الحاجز والدعاء بالحكمة
 البالغة والموعظة الشافية ، كما قال الله لرسوله : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
 والموعظة الحسنة » . ثم ينبغي للداعي اختبار أمر من يدعوهُ وتعرف أحوالهم
 رجلاً رجلاً ، وتميز كل امرئ منهم ومعرفة ما يصلح له أن يؤتى إليه ويحملة
 عليه من أمر الله وأمر أوليائه ، ومقدار ما يحمله من ذلك وقدر قوته وطاقته
 ومتى يوصل ذلك إليه وكيف يغذوه به ، وامتحان الرجال وتعرف الأحوال ،
 ومقدار القوى ومبلغ الطاقات ، وعلم ذلك هو أفضل ما يحتاج إليه الدعاة
 في باب السياسات والرياضات ، فكثير ما فسد أمر الداعي من جهله بهذا
 الباب || ففسدت دعوته منه ، وقد يعترى من يجوز عليه التضييع من الدعاة
 وينفق عنده منهم ونجوز عليه الخيل من الفساد في أمره والخلل في دعوته
 ما يطول القول بذكره . فينبغي للداعي أن يحكم أمر هذا الوجه من نفسه ويكون
 أصدق أهل دعوتِهِ وأقربهم منه وأحقهم بفوائده من حسنت نيته وصفت
 طريته ودق ذهنه وصح اعتقاده وجاد عقله وملك شره وقام بفرضه ،
 ما كان مما كثر أو قل شرف عند الناس من كانت هذه حاله أو انحط لديهم
 أو صغر أو كبر عندهم ، إلا أن يحتاج الداعي إلى استمالة الأشراف في حال
 تسميلهم ، كما تستمال المؤلفة قلوبهم على مقدار أحوالهم ، ولا يضيع من
 وصفنا حاله عندهم ، بل يجب أن يظهر من تقريبه لهم وإظهار فضله عندهم
 ما يكون ذريعة إلى التماس مثل ذلك لهم ، فإن التقريب على الدين والتفضيل
 به والترفع لأهله أقرب سبباً إلى اغتباط الناس به ودخولهم فيه وتصنعهم
 به لما يؤملون من [...] (١) ارتقى بسببه ، والناس أبناء نحاسدوا أكثر من طلب علماً
 أو ديناً كان || ابتداء طلبه منافسة نظيره وقرينه ، ومن رغب أن يحل محله ،
 ثم ترتقى الحالات بمن أراد الله سعادته إلى طرق الخير فيه ، ولذلك قال بعضهم

[٨٨ ب]

[٨٩ ا]

(١) هنا مكان كلمة شطبت ولم يثبت غيرها

وحلف بالله : لقد طلبنا العلم أول ما طلبناه لغير الله ، فما زال بنا العلم حتى
ردنا إلى الله . وينبغي للداعي أن يتهيب عند أهل دعوته وأن لا يعودهم
الجرأة عليه ، ولا يبسطهم كل البسط لديه فيهن عندهم ويصغر أمره لديهم ،
فإنه كلما كان أهيب عندهم كانوا أكثر انتفاعاً به وأحرى عنده ، وليكن تهيبه
ذلك بحسن الصمت وخفض الجناح ولين الجانب وحسن العشرة وجميل
المخالفة ، من غير تجبر عليهم ولا تكبر في أمره عليهم ، بل يكون التواضع
سماه والوقار همته والذكر هجيره . وقد جاء عن الصادق جعفر بن محمد
صلوات الله عليه أنه قال : اطلبوا العلم وتزينوا معه بالوقار والحلم ، وتواضعوا
لمن تتعلمون منه ولمن تعلمونه ولا تسكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم
بحقكم . وقال : من طلب العلم ليدافع به العلماء أو يمارى به | السفهاء أو ليصرف
به وجوه الناس إليه ليز بينهم وتكبر عليهم فليتبوا مقعده من النار .
إن الرياسة لا تصلح إلا لأهلها . فينبغي للداعي أن يكون مهيباً في غير
تكبر ولا صلف ، متواضعاً لا لمهانة ولا لضعف فإن اجتمع له أمره واستحكم
واتصل له مراده وانتظم ، وعز في أهل دعوته وعظم ، فليحسن إلى محسنهم
ويقربهم على درجاتهم ، وينزلهم على طبقات أعمالهم ، ولا يهمل أمرهم ،
فيدع عقوبتهم على ما يتضح له من ذنوبهم ، ويصح لديه من إسائتهم ، فقد
كان من استحكم أمره من الدعاة يؤدب من يؤدب من أهل دعوته بصنوف
من الأدب فيقصي بعضهم ويهجره ، ويأمر المؤمنين أن يهجروه فلا يكلمه أحد
منهم ، ولا يدانيه فيبقى مهجوراً في قومه ، مبعداً في أهله وخاصته حتى تضيق
الأرض عليه برحبها ويتطارع عليه في التوبة وقبولها ، ويمتنحه بما شاء أن
يمتنحه في نفسه أو في ماله أو فيما رآه من أحواله بعد المدة الطويلة والنكاية
الشديدة ، ومنهم من ييكنه على رؤس الملأ ، ومنهم | من يذله ويوبخه في
الخلاء ، ومنهم من يأمر بجلده ، ومنهم من يمضي العقوبة في قتله ويمتنح بذلك
أقرب الناس إليه فيأمر الأخ بقتل أخيه والحميم بقتل حميمه فيقتله

[٨٩ ب]

[٩٠ ا]

ويكون ذلك محنة للقاتل في نفسه وعزاء في وليه إذ لم يل أمره غيره ،
 وصلا حاله في أن يسلم من الحقد قلبه ، فيعاقب كل امرئ منهم بقدر ذنبه ،
 ويجعل العقوبة له بحسبه ، ولم يكن يهمل شيئاً من أمرهم فاستقامت لذلك له
 إرادته منهم . وقد قال عليّ صلوات الله عليه إن الله جل ذكره أدب هذه
 الأمة بالسيف والسوط ليس عند الإمام فيهما هواة . ولو علم الله جل ثناؤه
 أن عباده يصلحهم التجاوز عنهم لأمر به ، ولكنه جل ثناؤه حد حدوداً
 لذنوبهم ، إذ علم لا شريك له أن بها صلاحهم ، فجعل حد القاتل في العمد
 القتل ، وجعل في الخطأ الدية ، وحكم في الزاني المحض بالرجم ، وفي البكر
 بالجلد ، وفي السارق بالقطع ، وفي المحارب بالصلب أو النني ، أو قطع اليد
 والرجل ، وفي القاذف بالجلد ، وفي الشارب بالحد ، في حدود فصلها وأحكام || [٩٠ ب]
 افترضها وأجرها جعل بها عز وجل قول [...] ^(١) وصلاح عباده وأدب بريته ، وقد
 جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يؤتى يوم القيامة بحاكم قد
 عطل حدود الله فيقول الله عز وجل له حددت حدوداً في خلقي ووليتك
 أمرهم فلم تقمها . فيقول : يا رب رحمت خلقك . فيقول الله عز وجل : أفكنت
 أرحم بخلقى مني ؟ ثم يؤمر به إلى النار . ويؤتى بآخر قد تجاوز في الحد فيقال
 له في ذلك فيقول : يا رب غضبت لك بما ارتكبت من محارمك . فيقول الله عز
 وجل : أفكنت أشد غضباً لى منى لنفسى ؟ ثم يأمر به إلى النار . فليس
 تقصير من أقامه الأئمة صلوات الله عليهم مقام من يقيم الحقوق وينفذ الحدود
 دونهم فيما يجب فيه أو زيادة منه فيه وتعديه من سبيل العدل والحق الذى
 أمر الله عز وجل وأمر أولياؤه بل الذى يجب من ذلك تنفيذها على ما حده
 الله منها ، وإنما سميت حدوداً لأن لا تتعدى بزيادة ولا نقصان وإنما يكون هذا
 للدعاة وغيرهم إذا أذن الأئمة صلوات الله عليهم فيه لهم . وهذا الباب أيضاً
 أجملت القول فيه كما أجملته في الباب الذى قبله ، ولو بسطته لطال القول

[٩١ أ]

(١) في الأصل : بهم ولكن المعنى لا يستقيم ولعلها نبيهم .

له . وطبقاة الدعاة والولاء ينبغي لهم التأدب بكل ما جرى ذكره في هذا الكتاب والتخاطق به ، واعتقاده قولاً وعملاً ودينامية ، ولذلك أجريت ذكرهم فيه ، وهم أخص بالأنمة صلوات الله عليهم من كثير ممن قدمنا ذكرهم ، وإنما ذكر على ترتيب الابتداء في الأدب ، فإذا تأدب المبتدئ بها أولاً فأولاً واستعملها باباً باباً ، صار إلى درجة هؤلاء ، ودخل في جملتهم إن شاء الله . وهذا الباب رأيت أن أختم به هذا الكتاب ، والله ولي التوفيق والصواب . واسأل الله راعياً ملحفاً متضرعاً إليه أن يجعل ما عنيت به منه لوجهه ، وأن ينفعني ومن نظر فيه ويهدينا بفضلله ورحمته إلى الحق والصواب فيه عنده إنه خير مسئول وأكرم مأمول .

فهرست

صفحة	
١	تقدمة للناس
٢٣	مقدمة المؤلف
٣٨	ذكر ما ينبغي لاتباع الأئمة من اعتقاد ولايتهم والتدين بإمامتهم وطاعتهم
٤٠	ذكر وجوب مودة الأئمة
٤١	ذكر أداء الأمانة للأئمة والنصيحة لهم والتحذير من خيانتهم وغشهم
٤٥	ذكر توقير الأئمة وتعزيزهم وإجلالهم وتعظيمهم
٤٧	ذكر الأمر بالوفاء بعهود الأئمة ورعايتها وتذكّر ما أخذ لهم منها
٥٠	ذكر ما ينبغي لاتباع الأئمة من إخبارهم بما فيهم وسؤالهم والاستغفار لهم
	ذكر ما ينبغي من اقتصار من شملته دعوة الإمام على ما قبل لهم وعرفوه
٥٤	دون أن يتعاطوا أو يتكلفوا ما لم يؤذن لهم فيه
٥٦	ذكر الصبر على نوائب الأئمة والشكر لما أولوه من جزيل النعمة
٥٩	ذكر ما يجب لأولياء الله على عباده من الجهاد معهم في سبيله
٦٦	ذكر ما يجب للأئمة الصادقين أخذه من أموال المؤمنين والمؤمنات
٧٤	ذكر ما يجب على جميع العباد من التسليم في جميع الأمور إلى الأئمة
٧٨	ذكر الخوف من الأئمة والحذر من عقوبتهم وسقوط المنزلة عندهم
	ذكر ما ينبغي من تولى من وإلى الأئمة ومحبة وعداوة من عاداهم
٨١	وقطيعة وبغضه
٨٦	ذكر التسليم وترك الاعتراض على الأئمة فيما يولون من يتألفونه من الأمة
٩٠	ذكر الأمر بتحرى ما وافق الأئمة والنهي عن إتيان ما خالفهم
٩٣	ذكر نهى اتباع الأئمة عن الحسد والبغى والشره والحقد وسوء الظن
٩٧	ذكر الأمر لاتباع الأئمة بالتواضع لله تعالى ولهم وإطراح الكبر والأنفة الخ
٩٩	ذكر الأمر لاتباع الأئمة بالحلم والعفو والوقار والسكينة
١٠٠	ذكر لما ينبغي لاتباع الأئمة فيما بينهم من التعاطف والتواصل والتواضع والتبازل
١٠٣	ذكر ما ينبغي لمن يراه الأئمة من أتباعهم من التجميل وإظهار النعمة بين أيديهم
١٠٤	ذكر الآداب في السلام على الأئمة والكلام بين أيديهم

صفحة	
١٠٩	ذكر القيام بين يدي الأئمة والجلوس في مجالسهم والحديث إليهم . .
١١٦	ذكر الأدب في مسابقة الأئمة وما ينبغي أن يفعله من سائرهم . .
١١٩	ذكر حضور طعام الأئمة
١٢٢	ذكر آداب أهل بيوتات الأئمة وما ينبغي أن يأخذوا به أنفسهم لهم . .
١٢٥	ذكر الآداب في طلب الحوائج من الأئمة
١٢٧	ذكر النهي عن إنكار أفعال الأئمة
١٣١	ذكر ما ينبغي لمن استرعى أمر رعايا الأئمة من السيرة بالعدل . .
١٣٦	ذكر ما ينبغي أن يستعمله الدعاء إلى الأئمة

سلسلة مخطوطات الفاطميين

- (١) كتاب المجالس المستنصرية للداعى ثقة الامام علم الاسلام
- (٢) رسالة الرشد والهداية للداعى منصور اليمن
- (٣) كتاب الهمة فى آداب أتباع الأئمة للفاضل الزمان بن محمد
المغربى .
- (٤) المؤيد فى الدين داعى الدعاة - حياته وديوانه
- (٥) سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة .
- (٦) راحة العقل للداعى أحمد حميد الدين الكرماني
(بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور محمد مصطفى حلى)

تحت الطبع

- (١) سيرة الأستاذ جوذر
- (٢) رسائل الكرماني
- (٣) مناظرات المؤيد فى الدين
- (٤) إثبات الامامة للداعى النيسابورى
- (٥) الرسالة الوضعية للكرماني
- (٦) ديوان الأمير نعيم بن المعز

أصدرت حديثاً

- رسائل صاحب بن عباد : نشر وتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام بك والدكتور شوقي ضيف ، وثائق أدبية بديعة تفسر حياة النثر العباسي في القرن الرابع على لسان أهم كتابه تفسيراً دقيقاً ، ثم هي وثائق تاريخية خطيرة تكشف عن كثير من النواحي السياسية والاجتماعية للدولة البويهية ، تضيف إلى كتب التاريخ كثيراً من الحقائق ، وتعديل فيها كثيراً من الوقائع . وثمنه ٤٠ قرشا
- المجالس المستنصرية لداعي الدعاة : نشر وتحقيق الدكتور محمد كامل حسين ، أول كتاب ينشر في الشرق لداعي فاطمي ، يحوى خمسة وثلاثين مجلساً من مجالس الحكمة التأويلية التي كان يلقاها هذا الداعي وهي تبحث في فقه المذهب الفاطمي وبها كثير من التأويلات الباطنية . وثمنه ٢٥ قرشا
- اتعاظ الخنفا بذكر الأئمة الخلفاء : نشر وتحقيق الأستاذ جمال الدين الشيال الكتاب القديم الوحيد في تاريخ الدولة الفاطمية ، أول دولة استقلت بمصر استقلالاً تاماً في العصر الإسلامي ، تأليف مؤيد النسب الفاطمي وزعيم مؤرخي مصر الإسلامية تقي الدين المقرئى ؛ مع مقدمة إيضاحية ، وتعليقات وافية ، وملاحق مكملة بقلم المؤلف نفسه وفهارس تفصيلية شاملة . وثمنه ٤٠ قرشا
- كتاب التمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة والرافضة والخطوارج : علامة الإسلام الجليل وصحته على المخالفين ، القاضي أبي بكر الباقلاني : نشر وتحقيق الأستاذين محمود محمد الحصري ومحمد عبد الهادي أبو ريبة يمثل ذروة عالية من ذرى علم الكلام في رده على جميع المخالفين من أصحاب المذاهب الدينية والفلسفية ، وتحريره للمقيدة السنية في المسائل العقلية والدينية الكبرى ، وهو يصور المشكلات العقلية والدينية في القرن الرابع الهجري . وثمنه ٤٥ قرشا
- احصاء العلوم للفارابي : مؤلف نفيس ، لقي تقديراً عالياً لدى العلماء والمؤلفين في الشرق والغرب ، فترجم إلى اللغة اللاتينية مرتين ، وقال فيه القاضي صاعد الأندلسي : (كتاب شريف في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها ، لم يسبق إليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه ، ولا يستغنى طلاب العلوم كلها عن الاعتناء به وتقديم النظر فيه) . وقد عني الدكتور عثمان أمين بتحقيقه والتقديم له والتعليق عليه ، فقابل لذلك ست مخطوطات مختلفة مع الترجمتين اللاتينيتين . وثمنه ٢٠ قرشا
- كتاب رسائل الكندي الفلسفية : نشر وتحقيق الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريبة المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد ، مع مقدمة إضافية عن الكندي فيلسوف العرب الأول وعن فلسفته ومكانته في الفكر العربي ، وفي الرسائل نصوص لاتينية ، وتحقيق للاصطلاحات مما لا يستغنى عنه باحث في تاريخ الفلسفة الإسلامية . وثمنه ٤٠ قرشا